2

دراسة المستوى الصرفي عند أبي الفتح عثمان بن جني

أ.م.د. عبدالله علي الثوري

أستاذ اللغة العربية المشارك بجامعة العلوم والتكنولوجيا

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة تفصيلية لأحد مستويات اللغة الإنسانية وهو المستوى الصرفي عند أبي الفتح عثمان بن جني في ضوء علم اللغة الحديث، إذ يدرس مفهوم المستويات اللغوية بصورة عامة، ومفهوم المستوى الصرفي بصورة خاصة، ثم يتناول بالتفصيل الدراسة الصرفية عند ابن جني من حيث المفهوم والمساحة التي أفرغها لدراسة الصرف في عدد من كتبة، لاسيما في كتابه (الخصائص) الذي اشتهر به ، وكذلك في عدد من كتبه التي تناولت الدراسة الصرفية بصورة ظاهرة، مثل كتاب التصريف الملوكي ، وسر صناعة الإعراب ، وكتاب المحتسب الذي ختم به حياته ، مع إيضاح الأسباب العلمية والذاتية لذلك الاهتمام، يهدف البحث أيضا إلى إيضاح منهجية ابن جني في تناول الموضوعات الصرفية ، وارتباطها بالدراسة الصوتية والتركيبية والدلالية ، وما تميز به عن غيره من علماء اللغة الذين سبقوه في مجال الدرس اللغوي، وذلك كله بهدف الإفادة من الجديد الذي أضافه في دراسة المستوى الصرفي ، وأثر تلك الإضافات على الدراسة اللغوية الحديثة، ويدرس البحث إمكانية الإفادة من طريقته المتميزة في تناول المستوى الصرفي وكيفية ربطه بالمستويات اللغوية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: المستويات اللغوية –المستوى الصرفي – أبو الفتح عثمان بن جني.

The Morphological Level of Abi Al-Fath Othman Bin Jinni in the Light of Modern Linguistics

Abstract

The research deals with a detailed study of one of the levels of human language, which is the morphological level of Abu Al-Fath Othman bin Jinni in the light of modern linguistics. He devoted it to studying morphology in a number of his books, especially in his book (The Characteristics), which he was famous for as well as in a number of his books that dealt with the morphological study in an apparent way, such as the Mamluk Conversion Book, The Secret of the Syntax and the Book of Al-Muhtasib, with which he concluded his life with clarifying the scientific and self-reasons for this interest aiming also to clarify the methodology of Ibn Jinni in dealing with morphological issues, and its connection with phonetic, structural and semantic studies, and what distinguished him from other linguists who preceded him in the field of linguistic study, all with the aim of benefiting from the new issues that he added in the study of the morphological level, and the impact of those additions on the modern linguistic study. The research also studies the possibility of benefiting from its distinguished method in dealing with the morphological level and how to link it to other linguistic levels.

مشكلة البحث:

يعالج البحث مشكلة غموض الرؤية العلمية المتعلقة بالمنهجية التي اتبعها أحد علماء اللغة الاوائل في دراسة المستوى الصرفي وهو أبو الفتح عثمان بن جني إذ يبرز البحث جهده في دراسته للمستويات اللغوية عامة والمستوى الصرفي خاصة، مع بيان الأسباب التي أدت به إلى ذلك الاهتمام الكبير بالدراسات الصرفية وكثرتها وتكرارها في معظم كتبه، ويعالج البحث كذلك مشكلة ضعف الإفادة من ابن جني في مجال الدرس اللغوي الصرفي وكيفية ربطه بالمستويات اللغوية الأخرى، ويكشف الغموض الذي اكتنف منهجيته في دراسته لهذا المستوى ،و تميزه عن سابقيه من علماء اللغة الذين تناولوا علم الصرف أو التصريف.

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي القائم على وصف الظاهرة (موضوع البحث) وتشخيصها واستقراء وجودها وتتبعها من الناحية المعرفية والعلمية واستقراء النتائج العلمية الجديدة المنبثقة من ثنايا البحث بصورة علمية تنسجم مع طبيعة الموضوع وطرق البحث العلمي الحديث.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يكشف مدى اهتمام أحد علماء اللغة الأوائل الذين كانت لهم جهود كبيرة في دراسة اللغة في مستوياتها الأربعة (المستوى الصوتي، المستوى الصرفي ،المستوى التركيبي ،المستوى الدلالي) ويوضح بالتفصيل دوافع ابن جني لاهتمامه الأكبر بدراسة المستوى الصرفي ،ويبرز المنهجية العلمية التي اتبعها ابن جنى في دراساته الصرفية الواسعة التي أخذت حيزاً واسعاً من كتبه لا سيما كتابة (الخصائص) في جميع أجزائه.

بالإضافة إلى إيضاح انعكاس تلك الدراسات الصرفية على الدراسات اللغوية في مستوياتها الأخرى.

أهداف البحث :

1- إيضاح اهتمام أبي الفتح عثمان بن جنى بدراسة المستويات اللغوية.

2- إبراز دراسة المستوى الصرفي لدى أبي الفتح عثمان بن جنى.

3- بيان سعة الدراسات الصرفية لدى ابن جنى.

4- شرح منهجية ابن جنى في دراسته للمستوى الصرفي.

5- إيضاح ما تميز به ابن جنى عن سابقيه في دراسة المستوى الصرفي.

6- بيان الدوافع العلمية لاهتمام ابن جني بالدراسات الصرفية.

الدارسات السابقة :

من أبرز ما تم الوقوف عليه من الدارسات التي تناولت علم الصرف عند ابن جني أو جزءاً منها ما يأتي:

1- الدرس الصرفي عند ابن جني من خلال كتابه (اللمع في العربية) للدكتورة أسماء عبدالكريم خليفة عبدالقادر- كلية العلوم والدراسات الإنسانية- المرج 2014- جامعة بنغازي- ليبيا.

وقد هدفت الدراسة إلى التعريف بابن جني واهتمامه بالموضوعات الصرفية في كتابه (اللمع في العربية) ولم تشمل الدراسة الموضوعات الصرفية في بقية كتبه ، حتى في اللمع اقتصرت على تعليق الباحثة على خمسة موضوعات منها وهي :

(الجمع- التنوين- النسب- التصغير- ألفات الوصل والقطع) وبذلك تصبح الدراسة منحصرة في جزء من كتاب (اللمع في العربية) لابن جني رحمه الله.

2- المسائل الصرفية في الجزء الثالث من كتاب الخصائص لابن جني (دراسة استقرائية تحليلية، موضوعية) د: سابع محمد يوسف - كلية اللغات ،جامعة المدينة العالمية 1437هـ- 2016م.

وقد تناولت الدارسة عدداً من الموضوعات الصرفية في الجزء الثالث من كتاب الخصائص لابن جنى ، كما تضمنت عدداً من الاستنباطات حول طبيعة الموضوعات الصرفية التي وردت في الجزء الثالث من الخصائص كموضوع الإمالة ومعاني صيغ الزوائد والإعلال والإبدال والنسب والتصغير والإدغام.

ويلاحظ أن هذه الدارسة كسابقتها تناولت التعليق على تلك الموضوعات التي هي جزء من جزء أيضاً من كتاب الخصائص لابن جني.

3- أثر المحتسب في الدارسات الصرفية للدكتور خالد محمد عيال سليمان –عمان –الأردن – 2010م وهذه الدراسة تضمنت الحديث والتعليق على الموضوعات الصرفية التي تناولها ابن جني في كتابه (المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها).

ومع أن الكتاب في القراءات إلا أنه تضمن عدداً من الموضوعات الصرفية التي تناولها الباحث وعلق عليها، و من أهمها (أبنية الأسماء المجردة بأنواعها، والمزيدة بأنواعها، ومصادر كل منها ، وجمع التكسير، والمشتقات ، والصيغة المشبهة، وأبنية الفعل).

غير أن هذه الدراسة لم تتناول موضوع الصرف عند ابن جني كمستوى لغوي محوري من مستويات اللغة ولم تشرح أثر ذلك المستوى على المستويات اللغوية من وجهة نظر ابن جني كما أنها اقتصرت على دراسة عدد من الموضوعات الصرفية التي تناولها أبو الفتح في كتابه المحتسب الذي هو في الأصل كتاب خاص بالقراءات القرآنية.

4- يوجد عدد من الدارسات اللغوية الحديثة التي تحدثت عن ابن جني وجهوده اللغوية وأشاروا فيها بصورة عامة إلى الدراسات الصرفية كجزء من الدارسات اللغوية الواسعة التي تناولها ابن جني لاسيما في كتابه الخصائص غير أنها لم تتناول بالتفصيل دراسة المستوى اللغوي الصرفي ونظرية ابن جني اللغوية في دراسته الصرفية وابتكاره للعديد من موضوعاته وبيان تأثير المستوى الصرفي على المستويات اللغوية الأخرى.

ما تتميز به هذه الدراسة:

من خلال عرض محاور الدارسات السابقة وما هدفت إليه يتضح أنها لم تتناول المستوى الصرفي عند ابن جني كما تناولتها هذه الدراسة إذ تميزت عنها بالآتي:

1- دراسة المستوى الصرفي عند ابن جني كمستوى لغوي محوري تعتمد عليه اللغة في ضبط الاستعمال اللغوي في جميع مستويات اللغة.

2- لم يقتصر البحث على الدراسة الصرفية عند ابن جني في كتاب واحد من كتبه بل في العديد من كتبه التي تناول فيها الموضوعات الصرفية.

3- يكمل هذا البحث ما ظهر من نقص في الدارسات السابقة المتمثل في عدم إبراز منهجية ابن جني في الدراسة الصرفية ومدى اهتمامه بها والأسباب الدافعة لذلك .

4- كما يتميز هذا البحث عنها بإعطاء صورة مكتملة أو شبه مكتملة عن دراسة المستوى الصرفي عند ابن جني وخصائص هذه الدارسة لديه وما تفرد به عن غيره.

5- يوضح هذا البحث إمكانية الإفادة من دراسة المستوى الصرفي عند ابن جني في الدرس اللغوي الحديث لا سيما المتصل بالجانب الصرفي وتفريعاته.

محتويات البحث :

العنوان :دراسة المستوى الصرفي عند أبي الفتح عثمان بن جني.

تمهيد: الدارسات اللغوية عند أبي الفتح.

المبحث الأول :مفهوم المستوى اللغوي والمستوى الصرفي.

المطلب الأول : المستويات اللغوية.

المطلب الثاني : المستوى الصرفي.

المبحث الثاني : مقدار الدراسة الصرفية عند أبي الفتح ، وفيه:

المطلب الأول: اهتمام أبي الفتح بالدارسة الصرفية (الأسباب –المكانة).

المطلب الثاني : مقدار الدراسة الصرفية لديه .

المبحث الثالث: منهجيته في الدارسة الصرفية وتميزه عمن سبقه.

المطلب الأول : منهجيته.

المطلب الثاني : ما تميز به عن سابقيه.

الخاتمة : النتائج والتوصيات .

تمهيد:

من خلال التأمل في إنتاج علماء اللغة الأوائل يتاح لنا النظر بوعي إلى الدارسات التي أجروها والعلوم التي استوعبوها والتطورات التي أحدثوها لا سيما في العصر الأموي والصدر الأول من العصر العباسي وهما العصران اللذان نشأت فيهما الدراسات اللغوية وتطورت و اتسعت وراج سوقها حتى أصبحت علوم اللغة هي الغاية التي ينشدها الكثير من طلاب العلم في مختلف بلدان المعمورة في ذلك الحين.

ويبرز أحد جهابذة اللغة في القرن الرابع الهجري وهو أبو الفتح عثمان بن جني بدراسات لغوية متنوعة وواسعة فيدرس اللغة في مستواها الصوتي ويفرز لذلك المستوى كتاباً مستقلاً وهو كتابه الموسوم بـ(سر صناعة الإعراب) تناول فيه الدرس الصوتي بصورة محكمة وشاملة وبتفاصيل وتفريعات دقيقة ربما لم يسبق إليها غيره.

كما درس اللغة في مستواها الصرفي بصورة أوسع وتفصيلات أكثر تفريعاً وتعقيداً إذ لم تقتصر دراسته الصرفية على كتاب واحد من كتبه، بل تعرض لموضوعات الصرف المتنوعة في أكثر من كتاب كما سيأتي بيان ذلك في هذا البحث.

وتناول أيضاً القضايا النحوية بطريقته الخاصة التي يؤكد فيها قاعدة معينة وضعت من قبل، أو ينفي صحة قاعدة معينة، أو يضيف أحكاماً وقواعد نحوية أخرى لم يسبق إليها غيره مع تميزه بإيضاح الفوائد الجليلة - كما يسميها- من تلك الضوابط أو القواعد ليبعث الرغبة على تعلمها والحرص على تطبيقها في الاستعمال اللغوي.

وتنوعت كذلك دراسته للغة في المستوى الدلالي سواء على مستوى دلالة الألفاظ وتطورها أم على مستوى دلالة التركيب والسياق ، ويتميز في دراساته الدلالية باستعمال أسلوب المحاججة والتدليل والقياس والاستنباط حتى لا يدع طريقة تؤدي إلى إقناع المخاطب بصحة ما ذهب إليه إلا استعملها، مع استشهاد وافر بنصوص الاحتجاج اللغوي من النصوص القرآنية والنبوية والأشعار والأقوال في عصور الاحتجاج.

وسوف نتطرق في هذا البحث بالتفصيل إلى دراسته للمستوى الصرفي وذلك بدافع إبراز دراسة بحثية مستقلة عن المستوى الصرفي عند ابن جني نظراً لدقة تبصره في البحث اللغوي الذي ظهرت أوضح صوره في الدراسة الصرفية لديه، كما أن المستوى الصرفي من حيث البناء اللغوي هو الرابط بين المستوى الصرفي والمستوى التركيبي وهو بذلك يعتمد على الأصوات وتكوينها للألفاظ كما يؤثر بشكل مباشر في بناء التراكيب وتنوع دلالتها، ويعد المستوى الصرفي هو العامل الأساسي في توسيع الاستعمال اللغوي سواء على مستوى اللفظ أم على مستوى التركيب ، كما يعد - كذلك - الرافد الرئيسي لتنوع الدلالة وتوسيعها سواء دلالة الألفاظ أم دلالة التراكيب، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة من أجل تيسير الإفادة منها في الدراسات اللغوية الحديثة في كل المستويات اللغوية.

المبحث الأول

المستوى اللغوي والمستوى الصرفي

المطلب الأول

المستوى اللغوي

يعد مصطلح المستوى اللغوي أو المستويات اللغوية من المصطلحات الحديثة التي أطلقت على الدارسات اللغوية الحديثة التي توزعت على المستويات (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) وذلك عند النظر إلى الهرم البنائي للغة الذي يبدأ بالأصوات أو الحروف ثم الكلمات أو الألفاظ ثم الجمل أو التراكيب ثم العبارات أو النصوص التي تحمل دلالة ذات قيمة أدبية أو علمية أو معنى مفيداً تاماً.

وكانت الدارسات اللغوية عند علماء اللغة الأوائل تتم في إطار هذه المستويات الأربعة، إلا أنهم لا يطلقون على الدراسات الصوتية مصطلح المستوى الصوتي ، ولا يطلقون على علم الصرف المستوى الصرفي، وكذلك الدراسات النحوية والدلالية لكنهم يدرسون الأصوات بكامل تفاصيلها وصفاتها ومخارجها وطبيعة تكوينها فيزيائياً، وتجاورها ، وجميع أحكامها كما هو الحال عند الخليل بن أحمد في معجمه (العين) الذي رتبه ترتيباً صوتياً، وكذلك في دراساته العروضية المعتمدة على التقسيمات والإيقاعات الصوتية، وكما هو الحال عند أبي الفتح بن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) الذي جعله مستقلاً بعلم الأصوات وكذلك عند ابن سيناء في رسالته المشهورة بـ(أسباب حدوث الحروف) التي درس فيها الأصوات اللغوية دراسة فيزيائية وتشريحية نظراً لتضلعه في علم الطب وعلم التشريح ، كما تناولوا دراسة اللغة في مستواها الصرفي ومن ذلك ما ورد من أبواب في الكتاب لسيبويه ، وكتاب التصريف لأبي عثمان المازني ثم ما صدره أبو الفتح ابن جني من كتب في الصرف ككتاب (المنصف) الذي يشرح فيه تصريف المازني وكتاب (التصريف الملوكي) المختص بعلم الصرف وكتاب (المحتسب) الذي جعله كتاب تطبيق عملي على القواعد الصرفية في ضوء القراءات القرآنية وكتابه (الخصائص) بأجزائه الثلاثة التي وضع فيها معظم قوانين الصرف.

أما الدراسات النحوية فهي أكثر الدراسات اهتماماً لديهم، بدأها الخليل بن أحمد ثم سيبويه في كتابه المشهور بـ(الكتاب) ثم توالت بعد ذلك الدراسات النحوية حتى أصبحت أكثر من أن نحصيها في مثل هذا البحث.

وأما الدارسات الدلالية فقد انقسمت في إطار محورين:

أ- محور يدور حول دلالة الألفاظ وتتمثل في الدراسات المعجمية بأنواعها.

ب- محور آخر يهتم بدلالة الجمل والتراكيب والنصوص وتمثلها الدراسات اللغوية والبلاغية مع كثرتها.

ولا شك أن الدراسات اللغوية استمرت في توسع وتطور وتنوع حتى العصر الحديث الذي برزت فيه عدد من النظريات اللغوية الحديثة كالبنيوية التي ترى أن دراسة اللغة ينبغي أن يكون في إطار سياق البنية أو اللفظ ، أما النظرية التحويلية فقد مثلت تطوراً عن البنيوية وناقضتها في معظم أصولها ورؤاها تجاه اللغة ، وهي التي تبنت النظر إلى اللغة بمستوياتها الأربعة (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية) وكان من أبرز مؤسسيها (نعوم تشومسكي) ثم ظهرت المدرسة الأسلوبية التي ترى أن اللغة ناتجة عن استعمال عدد من الأساليب اللغوية بالإضافة إلى أن اللغة في نظرهم ، هي نظام من الأساليب اللغوية يبنى بها النص اللغوي وتتكون هذه الأساليب وفق أصول لغوية معينة.

كما ظهرت المدرسة الشكلانية التي تعتمد في دراستها للغة على الشكل والمظهر البنائي الذي إذا أنتج بشكل مناسب فإنه لا بد أن يتضمن المعنى المناسب والأفضل.

غير أن الإطار الذي استقرت عليه الدراسات اللغوية في العصر الحديث هو إطار عام يدرس اللغة في ضوء المستويات اللغوية الأربعة التي تتوزع عليها معظم الدراسات اللغوية ؛ نتيجة ترابط تلك المستويات وبناء بعضها على بعض .

فالأصوات اللغوية ليست أصواتاً عشوائية يختارها متكلم اللغة اختياراً ذاتياً ، بل هي أصوات أو حروف تم التوافق عليها في اللغة الواحدة بعد فحص وتأمل من قبل الراسخين في العلم من أهل اللغة وبعد تجربتها حيناً من الدهر حتى وصلت في العربية إلى ثمانية وعشرين حرفاً، وفي اللغات الأخرى بأعداد متفاوتة ، وهذه الأصوات هي مكونات اللغة في مستواها الصوتي ثم إنها تتجاور وتركب لتتكون منها الكلمات أو الألفاظ ، وقد اختلفت الطرق والقواعد التي بوساطتها يتم تكوين هذه الألفاظ من الأصوات اللغوية سواء عن طريق القياس والقواعد التي وضعها الخليل في معجم العين، أم عن طريق السماع الناتج عن الاستعمال اللغوي الصحيح الذي جمعه غيره من العلماء الذين أتوا بعهده و تناقلته الأجيال من جيل إلى جيل.

وهذه الألفاظ أو الكلمات تتركب منها الجمل المفيدة التي هي وسيلة متكلم اللغة في التعبير عن حاجاته، كما أن هذه الجمل أو التراكيب تتولد منها جمل لامتناهية بوساطة قواعد النحو المختلفة أو قواعد التوليد الموزعة بين القواعد النحوية والبلاغية بل والصوتية، فاللفظ عندما تتعدد مشتقاته لا شك أن دلالة الجملة التي هو ضمن بنائها تتنوع دلالتها تبعاً لذلك ، ثم إن الدلالة هي التي تضبط صحة البناء اللغوي في الألفاظ أو التراكيب حسب الحاجة التي يقتضيها المقام اللغوي الذي يعبر فيه متكلم اللغة عن حاجاته.

وتسمية هذه المراتب بالمستويات اللغوية هي تسمية مناسبة ؛ نظراً لتوافقها مع طبيعتها الوظيفية والبنائية فكأنها مراتب أو درجات يبنى كل مستوى فيها على الآخر.

المطلب الثاني

المستوى الصرفي

مفهوم المستوى الصرفي:

الصرف في اللغة: هو التحويل والتغيير.

وهو في الاصطلاح:" تصريف الكلمة المفردة لتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة أو مقصودة لا تحصل إلا بها" (المحلاوي 2008م، ص9)

وفي ذلك يقول ابن جني: "التصريف إنما هو أن تجيء بالكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى." (ابن جني ، 1996م، ص17)

ويقول ابن الحاجب :"التصريف علم بأصول يعرف بها أبنية الكلم التي ليست بإعراب." (ابن الحاجب ، 1984م،ص32).

مكانة المستوى الصرفي بين المستويات اللغوية الأخرى :

يعد المستوى الصرفي هو الرابط بين المستوى الصوتي والمستوى التركيبي ، كما يعد موضوع الدراسة اللغوية في المستوى الصرفي هو الكلمة وكل ما يتعلق بها من مشتقاتها وتقليباتها ودلالة كل لفظ منها وما يجري عليه من تغيير؛ ليصبح المستوى الصرفي كأنه محور الدراسة اللغوية في جميع مستوياتها.

"والدرس الصرفي يتبوأ المكانة العالية والدرجة الرفيعة، فهو ميزان العربية وأعمق شطريها وألطفها ، يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة فلا غنى عنه لدارسيها على أية حال".(أسماء عبدالكريم،2014م،ص13).

ودراسة المستوى الصرفي في ضوء علم اللغة الحديث يعد أهم وسيلة لاكتشاف خصائص اللغة في ذلك المستوى وأهم وسيلة إثراء للقدرات التوليدية فيه بوسائل شتى شرحها علماء اللغة والتصريف قديماً وحديثاً، من خلال استعمالهم القياس والاشتقاق والقلب والإبدال والإعلال وغيرها من الوسائل الصرفية المعلومة.

والأصل أن يتم تعلم الصرف وفهمه قبل النحو؛ لأنه في المستوى اللغوي الذي قبل المستوى النحوي ؛ولأنه لا يستقيم النحو إلا باستقامة اللفظ أو الكلمة التي تعد هي لبنة بناء التركيب الذي هو مدار علم النحو وفي ذلك يقول ابن جني:" التصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة والنحو وإنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة ، ألا ترى أنك إذا قلت : قام بكر. ورأيت بكراً .ومررت ببكرٍ. فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الجانب من العلم لما كان معتمدا

على الذي قبله بمعرفة الصرف، جيء به بعد ليكون الارتياض في النحو موطناً للدخول فيه ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه.(ابن جني ، المنصف ،ج1، ص21)

ويرى البعض أن علم الصرف هو محور الدارسات اللغوية في القديم والحديث كما يؤكد ذلك الاستاذ المحلاوي بقوله: "فما انتظم من علم إلا والصرف واسطته ولا ارتفع منار إلا وهو قاعدته ، إذ هو إحدى دعائم الأدب وبه تعرف سعة كلام العرب، وتنجلي فرائد مفردات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهما الواسطة في الأصول إلى السعادة الدينية والدنيوية"(المحلاوي، 2008م،ص17) والصرف يحفظ للغة ألفاظها الأصيلة ولبناتها القياسية والسماعية لا سيما في العصر الحديث الذي برزت فيه اللغة الخليطة (المهجنة) التي ليست بالعربية الفصيحة ولا بالعامية الصريحة، نتيجة عوامل عديدة أهمها الاستخدام المفرط للكلمات الأعجمية مع توجه البعض إلى استخدام ما بات يعرف بالعربيزي في إشارة إلى اللغة المهجنة التي يلوكها أبناء العرب والعربية إذ تتداخل فيه المفردة الأجنبية في نسيج بنية اللغة العربية مع استخدام أحرف لاتينية في كتابة الكلمات العربية واستخدام الأحرف العربية في كتابة الكلمات الأعجمية وتلك الظاهرة مع خطورتها تؤدي إلى حقن البناء اللغوي بمئات بل آلاف الكلمات الأعجمية خلال فترات وجيزة. (البريدي،2013م، ص43).

فالصرف إذاً بما يملك من ضوابط ومقاييس وموازين يضبط صحة اللفظ وهويته ويرجعه إلى أصله وبنيته، وإن كان اللفظ غير عربي فإنه يظهره وينفي نسبته إليها.

وبذلك تتضح أهمية دارسة اللغة في مستواها الصرفي الذي يعد هو غربال اللغة بألفاظها وأصواتها المتجاورة ، كما يضبط إيقاع ونسق الجمل في المستوى التركيبي ، ثم إنه يفصح عن دلالة كل لفظ سواء في بنيته الأصلية ، أم في حال الزيادة عليه التي يسميها علماء اللغة المحدثون السوابق واللواحق "فإذا كانت هذه الإضافات على البنية الأصلية في بداية اللفظ المجرد فإنها تسمى السوابق (prefixes) وإذا كانت في الوسط فإنها تسمى الدواخل(infixes) وإذا كانت في الآخر فتسمي اللواحق (suffixes) .

المبحث الثاني

مقدار الدراسة الصرفية عند أبي الفتح ، وفيه

المطلب الأول

اهتمام أبي الفتح بالدارسة الصرفية. (الأسباب –المكانة)

أ- دوافع ابن جني لدراسة المستوى الصرفي بكثافة:

1- طبيعته الميالة إلى علم الصرف :

التي ترسخت أثناء ملازمته لأستاذه أبو علي الفارسي، ويتضح ذلك من خلال دراسته كتاب التصريف للمازني على يديه ، وتعشقه لذلك الكتاب الذي دفعه لشرحه شرحا مفصلا في كتابه المشهور بـ(المنصف شرح كتاب التصريف) ثم اختصره في كتابه (التصريف الملوكي) ، ولقيت عنده الدراسة الصرفية هوى ورغبة جامحة جعلته منهمكا في النظر إلى الألفاظ العربية والتأمل فيها بمختلف تكويناتها، وأقسامها وابتكار الاشتقاقات منها ، وتوليد الألفاظ ووضع المعاني لكل تلك الألفاظ ، بما لا يخطر على بال .

2- حرصه على توليد معانٍ جديدة للألفاظ التي يدرسها أو يسمعها أو يرويها:

وذلك بطرق مختلفة، تؤدي به إلى استعمال الصرف ويتضح هذا الدافع من خلال طريقته في دراسة الألفاظ التي تعرض له، فلا يكاد يمسك بلفظ حتى يبتكر له العديد من الدلالات، بعد أن يستعمل معه القواعد الصرفية المتنوعة، ويمزجها بالقواعد الصوتية، ليصل إلى مراده في بيان اللفظ الذي بين يديه، مما يجعله متعمقا في الصرف وموضوعاته المختلفة.

ومن أمثلة ذلك قوله: "وكذلك قراءة بعضهم: (ما ودعك ربك وما قلى) – بتخفيف الدال

- فأما قولهم: ودع الشيء، يدع –إذا سكن- فاتدع؛ فمسموع متبع، وعليه أنشد بيت الفرزدق:

وعضُّ زمانٍ يا بن مروان لم يدع من المال إلا مُسحتٌ أو مجلَّفُ

فمعنى (لم يدع) –بكسر الدال- أي لم يتدع ولم يثبت، والجملة بعد (زمان) في موضع جر لكونها صفة له.

والعرب تقول: خير المجالس ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن..."(ابن جنى، 1985م، ص100).

ولعلنا نلمس كيف تناول الحديث عن اللفظ (وَدَعَ) وكيف حاول استخراج معانٍ جديدة له من خلال استقرائه للشواهد اللغوية التي يسردها من نص قرآني، أو بيت شعر، أو مقولة تؤكد المعنى الذي يرمي إليه اللفظ الذي يتحدث عنه، والذي يعالج صورهُ بطريقة يلجأ فيها للصرف لا محالة.

3- طبيعته اللغوية:

عُرف عن ابن جني بأنه لغويٌّ من الطراز الأول، يتعامل مع ألفاظ العربية بدقة نظر، وحسن تأمل، حتى "اشتهر بحسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء.. ولابن جني في عباراته وجوه في استعمال بعض المفردات يدوّنها اللغويون، وينوّهون بها كما يدونون ما يصدر عن العرب، ثقة بطبيعته العربية، وسجيته اللغوية". (النجار،1985م، ص27) وهذه السجيّة اللغوية دفعته للارتباط بالمفردات والألفاظ والغوص في تصريفاتها المتنوعة، واستعمال تلك التصريفات، وزيادتها وتجرّدها وإيضاح دلالة كل تصريف، حتى أصبحت بحوثه الموضوعية في ثنايا كتبه متصلة بالصرف والتصريف، ما يكاد ينفك عنه، لأنه وافق سجيته، ولبّى رغبته، فأبدع فيه وتوسع، ولعل ذلك من حسن الطالع لهذه اللغة أن صبَّ جل اهتمامه في دراسة ألفاظها، وما يتصل بها من أحكام سواء كانت قد طرقت من الذين سبقوه، أم أضافها هو بصورة تطبيقية علمية منطقية يخضعها للجدل المحكم قبل أن يعممها كأحكام وقواعد.

4- معرفته الواسعة بعلم الصرف:

لقد تعمق ابن جني في علم الصرف، ونظر في فنونه وقواعده واستخرج منها الكثير من الوجوه والقواعد الصرفية المؤصلة التي لم يسبق إليها غيره، وأضاف إلى من سبقه الكثير منها، وخالفهم في العديد من مسائل الصرف، ووافقهم في الكثير منها، وهذّب منها ما هذّب وأبطل منها ما أبطل، واستكمل منها ما استكمل.

وذلك التوسع المعرفي والتطبيقي في علم الصرف كان من أهم أسباب انشغال ابن جني به، واهتمامه بأصوله وفروعه، وانجذابه إليه، كأنه يهواه، ويستأنس بمباحثه حتى آثره على ما سواه، وذلك شأن كل من يرغب في أمرٍ ما، أو علم معين، فنراه يكثر من ذكره، والتعرض لمسائله، والتلذذ بالحديث عنه، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره كما تقول القاعدة السلوكية.

وسيتضح من خلال فروع هذا البحث مقدار السعة التي حازتها المباحث الصرفية عند ابن جني في معظم كتبه، لتؤكد وتظهر سعة معرفته بالصرف وإضافاته المتنوعة والمتشعبة.

5- تأثره بأستاذه (أبو علي الفارسي):

لقد كان ابن جني واثقاً من العلوم التي استشربها وتضلع فيها، لاسيما علم الصرف الذي كان يتلذذ بدراسته ويميل إليه، لكن مع وجود تلك الثقة كان أكثر من أثر في آرائه أستاذه أبو علي الفارسي، الذي كان هو أيضاً يؤثر ابن جني على غيره من تلامذته، ويجلسه بدلاً عنه في كرسي تدريسه، وكان أبو علي مهتماً بعلم الصرف أو التصريف، وانعكس ذلك الاهتمام على ابن جني بصورة واضحة وليس أدل على ذلك من اندفاع ابن جني "بأن قرأ على أستاذه أبي علي الفارسي كتاب (التصريف) للمازني كاملاً، الذي كان يعدّ أنفس ما أُلّف في علم الصرف حتى عصره، بل إنه عمد إلى شرحه في كتابه (المنصف) وفيه يناقش مادته مناقشة واسعة.

وله كتاب (التصريف الملوكي) وهو كتاب يتناول هذا العلم بمعناه الدقيق، وأهم كتبه في ذلك (الخصائص) الذي حاول فيه محاولة رائعة لأن يضع القوانين الكلية للتصريف، وقد أفاد من كثرة هذه القوانين ومن ملاحظات أستاذه الفارسي، لكنه أضاف إليها من ملاحظاته واستقصائه ما جعله مؤصّل علم التصريف وواضع قوانينه الكلية". (عيال سلمان،2011م، ص15).

المطلب الثاني

مقدار الموضوعات الصرفية التي تناولها ابن جني في كتبه

كما أشرنا إلى اهتمام ابن جني بعلم الصرف - الاهتمام البالغ- فإن علينا أن نتعرف عن كثب على المساحة التي حازتها الموضوعات الصرفية في كتبه المتنوعة وسوف نبدأ بيان ذلك في كتابه المشهور (الخصائص):

لقد مزج في كتابه الخصائص موضوعات اللغة مع موضوعات الصرف والصوت، مع إفراده عدداً كبيراً من الموضوعات الصرفية، وقد تضمن الجزء الأول من الخصائص الكثير من تلك الموضوعات التي سنتناولها بالعرض بإيجاز فيما يأتي بإذن الله تعالى.

مقدار الموضوعات الصرفية في الجزء الأول من الخصائص:

يتبين للدارس منذ الوهلة الأولى التي يطالع فيها الخصائص لاسيما الجزء الأول، أن ابن جني يتجه فيه إلى الصرف بقوة واندفاع، فهو في مقدمة كتابه هذا يوضح أن موضوعه الرئيسي هو موضوع يهتم بدراسة اللغة في مستواها الصرفي وفي ذلك يقول:

(على أنا أبا الحسن قد صنّف في شيء من المقاييس كتيّباً، إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنا نبنا عنه فيه، وكفيناه كلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوقة إلينا المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا) (ابن جني، 1985م ، ص2)وموضوع المقاييس اللغوية هو موضوع أساسي في الصرف، بل هو بوابة العلوم الصرفية، فعليه تكون الأمثلة الأصلية التي تقاس عليها الألفاظ العربية اللامتناهية، كما أن الميزان الصرفي جزء من أبحاثه وهو عمدة المقياس التصريفي، وبه تتضح أصول الألفاظ وزوائدها.

ويؤكد ابن جني أن كتابه الخصائص يهتم أكثر ما يهتم بالصرف أو التصريف في أول موضوع يتعرض له فيه وهو (الفصل بين الكلام والقول) فيقول:

"ولنقدّم القول على الفرق بينهما، طرفا من ذكر أحوال تصريفهما، واشتقاقهما مع تقليب حروفهما". (ابن جنى ،1985، الخصائص، ج1،ص13)

فهو منذ السطر الأول يتحدث عن التصريف، والاشتقاق والتقليب، ليصل إلى القول الفصل في تعريف الكلام والقول، والتفريق بينهما بصورة دقيقة وصحيحة.

وكأن مفتاح العلوم اللغوية كدلالة المصطلحات ومعرفة معانيها، ودقة تركيبها نحوياً، وضبطها صوتياً، يأتي عن طريق التصريف والاشتقاق، والتقليب لأصوات ألفاظها، لتستبين حقيقتها، وتسبر غورها، فهو يصنع كمن يفحص السلعة التي سيشريها، فيدقق في أصلها، وطبيعة تركيبها، ومتانة صناعتها ويقلبها ويختبر صلاحيتها، عن معرفة ودراية، وليس عن جهل وغواية.

ولإيضاح ذلك سنعرض الموضوعات الصرفية التي تناولها ابن جني في هذا الجزء لنزداد يقيناً واطمئناناً إلى معرفة الكم الهائل أو المساحة الواسعة التي احتلتها الدراسة اللغوية في هذا الكتاب وهي كالآتي:

1- باب القول على الفصل بين الكلام والقول:

وفيه تناول التصريف، واشتقاق كل منهما، والتقليب، الذي سماه منهج الاشتقاق الأكبر، ووضح فائدة ذلك التقليب، وتحدث عن الباز وتصريفه، والأولق ووزنه، والأثفية وتصريفها، وغيرها من الموضوعات الصرفية. (ابن جني، 1985م، ص5- 33)

2- باب القول على اللغة وماهيتها:

وفيه تحدث عن تصريفها، والكلام عن لفظ (كرة، وثبة) وما يقاس عليها.(ابن جني، 1985م،ص33- 43)

3- علل العربية أكلاميّة هي أم فقهية:

وتناول فيها علل النحو، وعلل الصرف والتصريف، مع التأصيل لها من لغات العرب وكلامها والعديد من الأوزان، وأصل الأسماء، والتصرف في أصول الأبنية، وغيرها من الموضوعات الصرفية المزوجة بالموضوعات الصوتية التي لا تنفك عنها (ابن جني، 1985م،ص48- 96)

4- باب الاطراد والشذوذ:

وهو باب يتحدث فيه عن تصريف وأصل (ط ر د، ش ذ ذ) وغيرها مما يتصل بها. (ابن جني، 1985م،ص96- 100)

5- باب في مقاييس العربية:

وهو كله صرف، تناول فيه الأسباب المانعة من الصرف، المعنوي منها واللفظي وتوسع العرب في القياس، وحمل الفرع على الأصل، وحمل الأصل على الفرع وغير ذلك مما يتصل بالقياس وأحكامه الصرفية.(ابن جني، 1985م،109- 115)

6- باب في القياس على ما يقل، ورفضه فيما هو أكثر منه.(ابن جني، 1985م،ص115- 116)

7- باب في السماع والقياس.(ابن جني، 1985م،ص117- 133)

8- باب في الاستحسان:

وفيه تناول الفرق بين الاسم والصفة، والفرق بين بعض الألفاظ، والبدل عن الزائد زائد، وليس البدل من الأصل بأصل، وغيرها. (ابن جني، 1985م،ص133- 144)

9- باب في تخصيص العلل، والفرق بين العلة المجوزة والموجبة، وتعارض العلل، وتعدية العلل. وفيه تحدث عن بعض علل النحويين، ثم توسع في بقية الباب عن العلل الخاصة بالقوانين الصرفية. (ابن جني، 1985م،ص144- 173)

10- علة العلل، والمعلول بعلتين، وإدراج العلة واختصارها، ودور الاعتلال. وفيها اجتماع الهمزتين، والإبدال حينئذٍ، وتحقيق الهمزتين شذوذاً. (ابن جني، 1985م،ص 173- 184)

11- باب في الزيادة في صفة العلة لضرب من الاحتياط، وتحدث فيه عن الإبدال وغيره، وباب في عدم النظير، وباب في اللفظتين على المعنى الواحد. (ابن جني، 1985م،ص194- 208)

12- باب في التدوير والوقوف منه على أول رتبة، وباب في الحمل على أحسن الأقبحين، وفي حمل الممدود، وباب في الألحان، والزيادة لمعنى وغيرها. (ابن جني، 1985م،ص208- 237)

13- باب في الحمل على الظاهر وإن أمكن أن يكون المراد غيره: وتحدث فيه عن تصغير بعض الألفاظ، وتصريفاتها، وباب في مراتب الأشياء وتنزيلها تقديراً وحكماً لا زماناً ووقتاً، وفي المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به إلا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع منه، وتحدث عن موضوعات في باب غلبة الفروع على الأصول، وفي إصلاح اللفظ. (ابن جني، 1985م،ص251- 321)

14- باب في تلاقي اللغة: وفيه الحديث عن (أجمع وجمعاء) وغيرها. (ابن جني، 1985م،321- 323)

15- باب في التقديرين المختلفين لمعنيين مختلفين، وباب في تدريج اللغة، وباب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، وباب في تركيب اللغات، وتداخلها. (ابن جني، 1985م،341- 391)

16- باب في امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس:

وفيه الحديث عن امتناعهم عن استعمال (أفعال الويح، والويل، ونحوهما) وامتناعهم عن استعمال (استحوذ) معتلاً، وغيرها من الموضوعات الصرفية. (ابن جني، 1985م،391- 400)

أما الجزء الثاني فقد تناول الموضوعات الصرفية الآتية:

1- باب في تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية.
2- باب في اللغة المأخوذة قياساً.
3- باب في المثلين كيف حالهما في الأصلية والزيادة، وإذا كان أحدهما زائداً فأيهما هو؟
4- باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير، ومنها: (آن) مقلوب، و(أيس) و(إياس)...إلخ. (ابن جني، 1985م،ج2،ص40- 43)
5- باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه. (ابن جني، 1985م،ج2،ص63-64).
6- باب في قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف، لا بالإقدام والتعجرف، ومنه (فوعل) وفوعال من (وأيت). (ابن جني، 1985م،ج2،ص67- 69)
7- باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات والسكون.(ابن جني، 1985م،ج2،ص70- 71)
8- باب في اتفاق المصاير، على اختلاف المصادر، ومنه (اغزْوى) عند البصريين و(اغزوّ) عند الكوفيين، و(فعْل) من جئت على مذهب التخفيف...إلخ.(ابن جني، 1985م،ج2،ص73-75)
9- باب في ترافع الأحكام، وفيه النسبة إلى (حنيفة) و(شأم)، وإتباع الثاني للأول وعكسه، وألفاظ الزكام...إلخ. (ابن جني، 1985م،ج2،ص 90)
10- باب في تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني، وفيه اشتقاق (الطفيلي) واشتقاق (الرطل) والفاقة، والجمل...إلخ. (ابن جني، 1985م،ج2،ص93)
11- باب في الاشتقاق الأكبر. (ابن جني، 1985م،ج2،ص 96)
12- باب في الإدغام الأصغر. (ابن جني، 1985م،ج2،ص111- 119)
13- باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.(ابن جني، 1985م،ج2،ص133- 139)
14- باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني. (ابن جني، 1985م،ج2،ص145- 152)
15- باب في تعليق الأعلام على المعاني دون الأعيان، وفيه (فعال) علماً، والحديث عن الأوزان الصرفية.(ابن جني، 1985م،ج2،ص152- 168)
16- باب في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه، وفيه (عمل المصدر مجموعاً) والتاء في نحو (علاته) وغيره.(ابن جني، 1985م،ج2،ص201- 210)
17- باب في ورود الوفاق مع وجود الخلاف، وفيه (غاض الماء وغضته) وغيره.(ابن جني، 1985م،ج2،ص210- 213)

18- باب في نقض العادة، وفي الحديث عن تصريف عدد من الألفاظ مثل (كسى، كسوته)، (أقشع الغيم وقشعته الريح) فعل المغالبة نحو (ضاربني فضربته أضربه)...إلخ.(ابن جني، 1985م،ج2،ص214- 226)

19- باب تدافع الظاهر، وفيه النسب إلى مثنى، و(فعْل) من القول، وتاء الافتعال، وغيره. (ابن جني، 1985م،ج2،ص227- 233)

20- باب في التطوع بما يلزم، وفيه تحدث عن التصغير في القوافي، وغيره.(ابن جني، 1985م،ج2،ص 234).

21- باب التاء يزاد عليه فيعود ناقصاً. (ابن جني، 1985م،ج2،ص272)

22- باب في زيادة الحروف وحذفها. (ابن جني، 1985م،ج ،273)

23- باب في زيادة الحرف عوضاً من آخر محذوف، وفيه ما حذفت عينه، وياء التفعيل عوض من عين فعال، وضعف حروف العلة، وغيره.(ابن جني، 1985م،ج2،ص285- 306)

24- باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض.(ابن جني، 1985م،ج2، ص306- 315)

25- باب في مضارعة الحروف للحروف والحركات للحروف، وفيه الحديث عن (هاء السكت) و(أضعف حروف العلة، وشبه الحركة بالحرف في منع الصرف والنسب)، وغيره.(ابن جني، 1985م،ج2،ص315- 321)

26- باب في محل الحركات من الحروف أمعها أم قبلها أم بعدها؟ وفيه (المسائل الصرفية التي يرجع فيها إلى النفس والحس لا إلى الإجماع).(ابن جني، 1985م،ج2،ص321- 327)

27- باب في مراجعة أصل واستئناف فرع، وفيه الحديث عن النسب إلى حمراء وشقاوة، وعدوّة.(ابن جني، 1985م،ج2،ص345- 347)

28- باب فيما يراجع من الأصول مما لا يراجع، وفيه الحديث عن تاء الافتعال ، وغيره.(ابن جني، 1985م،ج2،ص347- 352)

29- باب في مراعاتهم الأصول تارة وإهمالهم إياها أخرى.(ابن جني، 198م،ج2،ص352- 354)

30- باب في حمل الأصول على الفروع.(ابن جني، 1985م،ج2،ص352- 356)

31- باب في الحكم يقف بين الحكمين:

وفيه الحديث عن (الرجل) بين المنصرف وغير المنصرف، وكذلك التثنية والجمع على حدّه. (ابن جني، 1985م،ج2،ص356- 359)

32- باب في التحريف:

وفيه تناول تغييرات النسب القياسية وغير القياسية، وتغيير الأعلام وغيرها.(ابن جني، 1985م،ج2،ص364- 441)

33- باب في ملاطفة الصنعة:
وفيه تحدث عن إعلال قام، وباع وغيرها.(ابن جني، 1985م،ج2،ص 471)
34- باب في التجريد.(ابن جني، 1985م،ج2،ص473- 476)
35- باب غلبة الزائد للأصلي.(ابن جني، 1985م،ج2،ص476- 480)
36- باب في أن ما لا يكون للأمر وحده يكون له إذا ضام غيره.(ابن جني، 1985م،ج2،ص480- 484)
37- باب في أضعف المعتلين.(ابن جني، 1985م،ج2،ص484- 484)
38- باب في الغرض من مسائل التصريف.(ابن جني، 1985م،ج2،ص484- 487)
39- باب فيما يحكم به القياس مما لا يسوغ به النطق. (ابن جني، 1985م،ج2،ص493- 497)
40- باب في اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه:
وفيه تحدث عن اشتقاق اسم الفاعل (ناهيا) من (نهيت) وغيره مما يتصل به من مسائل التصريف تحت هذا الباب.(ابن جني، 1985م،ج2،ص488- 493)

الموضوعات الصرفية في الجزء الثالث:

تناول ابن جني في الجزء الثالث من الخصائص عدداً من الموضوعات الصرفية وأخذ الصرف مساحة واسعة فيه، وسيتضح ذلك من خلال عرضها بإيجاز كما يأتي:

1- باب في حفظ المراتب، وتحدث فيه عن تصريف (خطايا)، وإوزة، وغيرها.(ابن جني، 1985م،ج3،ص5- 8)
2- باب في التغييرين يعترضان في المثال الواحد بأيهما يبدأ: وفيه الحديث عن (فعل- بوزن تفل- من وأيت) و(فعل) من (ووى) وغيره.(ابن جني، 1985م، ج3، ص8- 17)
3- باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف: وفيه تحدث عن تصريف لفظ (الحيوان) و(دبوان) و(اجلبواذ) وغيرها من الموضوعات الصرفية.(ابن جني، 1985م،ج3،ص18- 20)
4- باب في تسمية الفعل: وفيه الحديث عن أسماء الأفعال بأنواعها.(ابن جني، 1985م،ج3،ص34- 51)
5- باب في أن سبب الحكم قد يكون لضده على وجه: وفيه شرح وجه الاعتلال في القود ونحوه، وندى وأندية، وبقاء الإعلال في لياح، وغيره.(ابن جني، 1985م، ج3، ص51- 56)
6- باب في احتمال القلب لظاهر الحكم.(ابن جني، 1985م،ج3،ص56- 61)

7- باب في أن الحكم للطارئ: وتحدث فيه عن النسب إلى كرسي وبختي، وغيرها من موضوعات الصرف.(ابن جني، 1985م،ج3،ص62- 65)

8- باب في الشيء يرد فيوجب له القياس حكماً ويجوز أن يأتي السماع بضده.(ابن جني، 1985م،ج3،ص66- 67)

9- باب في الاقتصار في التقسيم على ما يقرب ويحسن لا على ما يبعد ويقبح.(ابن جني، 1985م،ج3،ص67- 70)

10- باب في تركيب المذاهب: وفيه الحديث عن تصغير ما نقص منه حرف، وغيره.(ابن جني،1985م،ج3،ص71- 74)

11- باب في وجوب الجائز: وفيه تناول تصغير لفظ (جدول) و(عجوز) وتصريف (أوار) وغيره.(ابن جني، 1985م،ج3،ص55- 87)

12- باب في إجراء اللازم مجرى غير اللازم، والعكس.(ابن جني، 1985م،ج3،ص87- 93)

13- باب في احتمال اللفظ الثقيل لضرورة التمثيل، وفيه الحديث عن الميزان الصرفي عندما يترك الإدغام وغيره، ما لا يكون في الكلام.(ابن جني، 1985م،ج3،ص96- 97)

14- باب في الاحتياط: وفيه الحديث عن التوكيد بياء النسب، وزيادة باء الجر، وغيرها.(ابن جني، 1985م،ج3،ص101- 111)

15- باب في فك الصيغ. (ابن جني، 1985م،ج3،ص111- 120)

16- باب في مطل الحركات: وفيه تحدث عن تصريف (فيفن) و(حيث) و(آمين) وغيرها.(ابن جني، 1985م،ج3،ص120- 121)

17- باب في شواذ الهمزة.(ابن جني، 1985م،ج3،ص143- 149)

18- باب في حذف الهمز وإبداله.(ابن جني، 1985م،ج3،ص149- 154)

19- باب في حرف اللين المجهول.(ابن جني، 1985م،ج3،ص154- 157)

20- باب في القول على فوائد الكتاب: وفيه ثناء على سيبويه والاعتذار عنه في الإخلال ببعض موازين الأسماء، وهو من أبرز الموضوعات الصرفية، وإن كان متضمناً نقداً مهذباً (ابن جني، 1985م،ج3،ص185- 187)

21- باب في ذكر الأمثلة الفائتة للكتاب، وفي ذكر الأمثلة التي أخل بذكرها سيبويه، وهي كثيرة، مع تصويبها. وهي كلها في الصرف. (ابن جني، 1985م،ج3،ص187- 218)

22- باب في نقل الأصول وإنشاء أصول غيرها، وفيها الحديث عن (دعدعت، جهجهت) وغيرها.(ابن جني، 1985م،ج3،ص227- 231)

23- باب في التراجع عن التناهي: وفيه: علة تجرد نحو (صبور) من علامة التأنيث، وعلة جمود (نعم الرجل)...إلخ. (ابن جني، 1985م،ج3،ص341- 345)

24- باب في قوة اللفظ لقوة المعنى: وفيه الحديث عن تصريف (جميل، ووضيء) وحمل التصغير على التكسير...إلخ.(ابن جني، 1985م،ج3،ص371- 391)

25- باب في الجمع بين الأضعف والأقوى في عقد واحد: وتحدث فيه عن تصريف (فتن، وأفتن، وفّى وأوفى، صرف رعْد ومنعه من الصرف) وغيره.(ابن جني، 1985م،ج3،ص314- 319)

26- باب في المستحيل، وصحة قياس الفروع على فساد الأصول: وذكر فيه وزن (الناقة) بغرض أخذها من (لقنو) ووزن (أسكفة) بغرض أخذها من (استكفّ) وغيرها من الألفاظ.(ابن جني، 1985م،ج3،ص321- 341)

تلك هي الموضوعات الصرفية التي تناولها ابن جني في الجزء الثالث من كتابه الخصائص مع وجود بعض الموضوعات الفرعية في عدد من الأبواب العامة التي جمع فيها بعض الموضوعات النحوية مع الصرفية مع الصوتية مع بعض المباحث اللغوية التي تناولها بدقة وتفصيل واستدلالات متتابعة.

ومن خلال النظر في مقدار الموضوعات الصرفية التي وردت في كتاب الخصائص بأجزائه الثلاثة، نجد أنها أخذت مساحة واسعة فيه إذا قورنت ببقية الموضوعات التي تناولها بالدرس في هذا الكتاب ، كالنحو واللغة والأصوات والدلالة، وبذلك يصبح كتاب الخصائص مع كونه كتاب لغة إلا أن موضوعه الرئيسي هو الصرف؛ إذ "يعتبر مصدراً من مصادر علم الصرف، مع أن هذا الكتاب قد تناول جميع مستويات اللغة: المستوى الصوتي، والصرفي والنحوي والدلالي".(يوسف، 2016،ص1)

وبقدر ما يهمنا الوقوف على كمية الموضوعات الصرفية التي تناولها ابن جني في الخصائص أو في غيره من كتبه، يهمنا بنفس القدر طريقة دراسته للصرف كمستوى لغوي يربط بين المستوى الصوتي والمستوى التركيبي للغة إذ يعد من أبرز علماء العربية الأوائل الذين درسوا الصرف ، ليس من أجل التقعيد التصريفي فحسب، بل من أجل معرفة الأسرار اللغوية في استعمال الألفاظ العربية باشتقاقاتها وتصريفاتها المتنوعة.

"وكتاب الخصائص يتضمن أسرار العربية في التصريف والكشف عن علل العربية المتنوعة، ويأبى مع هذا إلا أن يخصص لمسائل التصريف موضعاً مستقلاً يكشف فيه عن الغرض منها، ويميز بين مسائل التعليم، والمسائل التي يكون الغرض منها هو إلحاق ما ليس من كلام العرب بكلامهم، وإدخاله في جملتهم".(يوسف، 2016،ص11)

وكأن الخصائص سفرٌ جمع فيه ابن جني النظرات اللغوية الحديثة التي من خلالها تدرس اللغة اليوم، وربما يعد هو مصدرها، وفي ذلك يقول د. أحمد سليمان ياقوت: "والخصائص مؤلف قيم ثمين تناول فيه صاحبه كثيراً من الأبواب الصوتية والصرفية والنحوية بالتخصيص والدراسة والموازنة كما أنه عقد كثيراً من الأبواب التي تنطوي تحت ما يعرف بعلم اللغة، وفقه اللغة، بل إنه كتاب في صميم علم اللغة الوصفي، وهو خير ما ألفه القدماء في الميدان"(ياقوت 2000،ص8).

ويصف الدكتور عبده الراجحي الخصائص واتصاله بعلم اللغة فيقول: (ويضم الخصائص القوانين الكلية الجامعة للأصول العامة للدرس اللغوي في العربية، ويتناول المنهج العام لدرس اللغة).(الراجحي وإبراهيم،1994م،ص19)

المسائل الصرفية في كتاب المحتسب:

عنون ابن جني كتابه بـ (المحتسب في وجوه شواذ القراءات والإيضاحات عنها) وعلى الرغم من أن موضوع الكتاب في وجوه القراءات القرآنية الشاذة إلا أن موضوعاته - في ثنايا الحديث عن أوجه القراءات في آيات القرآن الكريم- كانت موضوعات صرفية تطبيقية، وكانت مصدراً يستقي منه الكثير من العلماء بعده، سواء في القراءات أم في الدراسات الصرفية، واللغوية بصورة عامة.

وقد تابع في هذا الكتاب أستاذه أبا علي الفارسي، الذي صنف في القراءات كتابه المشهور (الحجة) في الاحتجاج للقراءات السبع، وقد ألف ابن جني كتاب (المحتسب) بعد أن تقدمت به السن، وطوى مراحل الشباب، وسماه المحتسب، لأنه أراد به ابتغاء وجه الله عز وجل، ليحتسبه عنده سبحانه، بعد أن شعر بقرب خاتمة عمره –رحمه الله- .(بن جني، 1999م،ج1،ص2).

والموضوع الأساسي للمحتسب هو (القراءات الشاذة الصحيحة) غير أنه أوضح الأوجه اللغوية لتلك القراءات إيضاحاً لغوياً معتمداً فيه على التعليل العلمي القائم على التأصيل الصرفي، وكأنه التزم الجانب التطبيقي للقواعد الصرفية التي وضعها في كتابه الخصائص، وأكد عليها وشرح بعض تطبيقاتها في كتابه (المنصف)، ومن هنا يأتي احتساب هذا الكتاب من كتب الصرف، كما سيتضح لنا من خلال الأمثلة التي سنعرضها "فقد كان هذا الكتاب بحق مصدر إلهام للدراسات اللغوية المتعلقة بالقرآن الكريم، وقراءاته المتعددة"(بن جني، 1999م،ج1،ص16) إذ يجسّد صورة حقيقية لثمرة العلوم التي تبحّر فيها ابن جني، لاسيما علم التصريف الذي يعدّ هو الميدان الأوسع في دراساته اللغوية.

وللإفادة عن مقدار الموضوعات الصرفية في كتاب المحتسب، سنجمل أهم الموضوعات التي تناولها فيما يأتي:

أولاً: أبنية الأسماء، وتناول فيها الآتي:

1- الاسم المجرد الثلاثي بصيغه المتنوعة (فَعْل، فُعْل، فُعُل...إلخ).
2- الاسم المجرد الرباعي.
3- الاسم المجرد الخماسي.

ثانياً: الاسم المزيد الثلاثي.

ثالثاً: المصادر، وفيه تناول الآتي:

1- مصادر الفعل الثلاثي.
2- المصادر السماعية.
3- المصدر الميمي.

رابعاً: المشتقات، وفيه تناول:

1- أصل المشتقات.

2- أقسام الاشتقاق.

3- اسم الفاعل.

4- صيغ المبالغة.

5- الصفة المشبهة.

خامساً: جموع التكسير، وفيه تناول:

1- جموع القلّة.

2- جموع الكثرة.

سادساً: أبنية الفعل، وفيه تناول:

1- أبنية الفعل الثلاثي المجرد.

2- أبنية الأفعال المزيدة ومعانيها.(بن جني، 1999م،ج1، ج2من سورة الفاتحة حتى سورة الناس)

ولا شك أن هذه الموضوعات لم تأت في المحتسب بهذا الترتيب بل جاءت متفرقة في إيضاحاته للقراءات الشاذة من سورة الفاتحة حتى سورة الناس.(عيال، 2011م ،ص107)

ويتضح أن المساحة التي أخذتها الدراسة الصرفية التطبيقية على القراءات القرآنية، كانت مساحة واسعة من الكتاب، من حيث الموضوعات، ومن حيث المناقشة الاستقصائية، والاستشهادات التي يستشهد بها على صحة القراءات من كلام العرب وأشعارهم المحتج بها.

منهجه في المحتسب:

اعتمد ابن جني - رحمه الله- في المحتسب منهج الإيجاز ثم البسط والشرح والاستقصاء والاستشهاد، فهو يأتي بنصّ القراءة، ثم رواياتها، ثم يبدأ في التوجيه والإيضاح لهذه الرواية في القاعدة، فيذكر القراءة اللغوية إن وجدت، ويكثر من القواعد الصرفية، لاسيما القياس الذي يعتمد عليه كثيراً، ثم يأتي بالشواهد الشعرية بعد أن ينسبها إلى قائليها ويفسر المقاصد من تلك الشواهد، وهي ذات المقاصد من تلك القراءة التي يتحدث عنها، مع أنه ذكر في مقدمة كتابه هذا: أنه آثر الإيجاز، ولم يمض على منهج شيخه الفارسي في كتابه الاحتجاج، من الإسهاب والاستطراد، إلا أنه مع ذلك لم يكن موجزاً حق الإيجاز، بل أعطى كل قاعدة وقراءة حقها من الاستقصاء، والتأصيل اللغوي، لاسيما الصرفي منه، لأن معظم القراءات، مختص بالألفاظ، وحركات حروفها، ولعل مرجع ذلك إلى غزارة ما يحمل في ذهنه من ثروة لغوية جامعة، وتحليلات تأصيلية متنوعة، وطبيعة استقصائية، ومحاججة منطقية فلسفية، كما سيتضح لنا بشكل بين من خلال بعض الأمثلة على ذلك.

أنموذج من دراسته الصرفية في المحتسب:

يقول في قراءة قوله تعالى: (أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون):(البقرة :6)

من ذلك قراءة (أنذرتهم) لهمزة واحدة من غير مدّ.

هذا مما لا بد فيه أن يكون تقديره: (أأنذرتهم) ثم حذف همزة الاستفهام تخفيفاً، لكراهة الهمزتين، ولأن قوله: (سواء عليهم) لابد أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولمجيء (أم) من بعد ذلك أيضاً، وقد حذفت هذه الهمزة في غير موضع من هذا الضرب، كقول من قال:

فأصبحتُ فيهم آمنا لا كمعشرٍ فقالوا: مِنْ ربيعة أم مضر؟

فيمن قال: أم، أي: أمن ربيعة أم مضر؟

ومن أبيات الكتاب:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا شعيث ابن سهم أم شعيث ابن مِنقرِ

وقال الكميت:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

قيل: أراد: أو ذو الشيب يلعب؟

وقالوا في قوله تعالى: (وتلك نعمة تمنّها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل) (الشعراء:22) أراد: أو تلك نعمة؟

وقال: لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بثمانيا

يريد: أبسبع؟

وعلى كل حال، فأخبرنا أبو علي، قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس وذلك أن الحرف نائب عن الفعل وفاعله، ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت (ما) عن (أنفي) كما نابت (إلا) عن (أستثني) وكما نابت الهمزة وهل عن (أستفهم) وكما نابت حروف العطف عن (أعطف) ونحو ذلك.. فأما همزة (أفعل) في الماضي فما أبعد حذفها، فليكن العمل على ما تقدم بإذن الله.

الموضوعات الصرفية في كتاب (اللمع):

من الكتب التي ألفها ابن جني في مرحلة مبكرة من عمره كتابه المشهور بـ (اللمع في العربية) وموضوعه الرئيسي هو النحو الذي كان شُغْل الناس الشاغل في ذلك الوقت، إذ لم يدرك العلماء أولوية تعلم الصرف إلا في مرحلة متأخرة منذ بداية أو نشأة علم النحو، ذلك أنهم لما درسوا النحو ودرّسوه، عرفوا حاجة دراسة الصرف قبله، وهو الترتيب المنطقي الذي أظهرته مرآة علم اللغة الحديث في تصويرها لترتيب المستويات اللغوية التي تبدأ بالمستوى الصرفي وتنتهي بالمستوى الدلالي.

ومع ذلك فإن ابن جني يعدّ "من أوائل من أدرك أهمية تعلم الصرف قبل النحو، ومضى النحاة على وضعهم الصرف في أواخر كتبهم، ولعل ذلك الإدراك قد استوى على سوقه في مرحلة متأخرة من حياته، أو على الأقل بعد أن صنف كتاب اللمع؛ ذلك لأنه أضاف أبواباً صرفية في أواخر اللمع).(الدرس الصرفي عند ابن جني ،1992م،ص3)

وكتاب اللمع - وإن كان كتاب نحو- في الأصل إلا أنَّ ابن جني كعادته لا يكاد ينفك عن الصرف واللغة، في أي كتاب يؤلفه، فهو تخصصه المفضّل وهو هواه حيثما حل وارتحل، ذلك لأنه يرى أن الدرس الصرفي هو ميزان العربية ومقياس صحة ألفاظها.

وقد تناول ابن جني في (اللمع) معظم أبواب النحو، التي بدأها بإيضاح الكلام وأقسامه، ثم بالحديث عن المعرب والمبني، وغيرها حتى وصل إلى آخره بذكر باب (الإمالة) الذي يتصل بعلم الأصوات أكثر من اتصاله بالقضايا النحوية وقد أخذ الصرف في كتاب اللمع مساحة لا بأس بها، وتناول فيه عدداً من الأبواب الصرفية أبرزها ما يأتي:

1- باب الجمع: وفيه تناول جمع التكسير، وأوزانه المتوزعة بين جموع القلة، وجموع الكثرة.
2- باب النونين: وفيه تناول الفعل المؤكد وغير المؤكد، والمؤكد ما لحقته نونا التوكيد الثقيلة أو الخفيفة وفي ذلك يقول:" باب النونين: وهما خفيفة وثقيلة، والثقيلة أشد توكيداً من الخفيفة، والفعل قبلهما مبني على الفتح معهما، وأكثر ما تدخلان في القسم..." (اللمع في العربية،1990م،ص75)
3- النسب: وهو إلحاق المنسوب مشددة لتدل على نسبيته إلى المجرد عنه.(ابن الحاجب ، 1995م،ص6).

ويقول في تعريفه: "هو النسب إلى كل اسم بزيادة ياء مشددة مكسور ما قبلها، تقول في النسب إلى (زيد) زيدي، وإلى (محمد) محمدي.(ابن جني، 1995، ص79)

وتناول فيه مسائل تفصيلية أخرى.

4- باب التصغير: وتناول فيه: تعريفه، وصيغه، وتقويمها والأمثلة التطبيقية عليها.
5- باب ألفات القطع والوصل.(خليفة،2014م،ص11).

ولعل المتأمل في هذه الأبواب يدرك أن ابن جني جعل في اللمع حظاً جيداً من الموضوعات أو الأبواب الصرفية التي لها علاقة مباشرة بالموضوع النحوي، والضبط الإعرابي، بصورة أكثر استعمالاً، كما أنه أصبغ على شرح الموضوعات الصرفية أسلوبه المميز المبسط المباشر، الذي يتناسب في الغالب مع النحو وقواعده الإعرابية، كما أنه "أراد باللمع أن يكون كتاباً تعليمياً مبسَّطاً، بطريقة بعيدة عن التركيب والتعقيد، وهذا ما جعل العلماء يهتمون به قديماً وحديثاً لمكانة مؤلفه، ولبيانه وخفته". (خليفة،2014،ص16)

كتاب (المنصف) شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني:

يعدّ كتاب (التصريف) لأبي عثمان المازني، أول كتاب استقلت فيه الدراسة الصرفية عن النحوية؛ إذ جمع فيه مسائل علم الصرف مستقلة عن مسائل النحو، وتابعه بعد ذلك عدد من علماء العربية في إفرادهم للصرف كتباً مستقلة.(مجاهد ،2014،ض47) أشرنا إليها مسبقاً في هذا البحث.

ومما لا شك فيه أن الموضوعات التي تناولها ابن جني في كتابه المنصف هي موضوعات صرفية من أول الكتاب إلى آخره، وذلك تبعاً لكتاب أبي عثمان الذي يتناوله بالشرح، وبالطبع فإن ابن جني – كعادته- يتناول عدداً من الموضوعات المتداخلة في شرحه، كأن يذكر العديد من الأسس النحوية، وبعض شروحها، وتأصيلها، كما يتناول أيضاً عدداً من الموضوعات اللغوية التي يستشهد فيها بما ورد عن القبائل العربية من لغات معتدّ بها، وما يؤكدها من شواهد شعرية.

وهو بذلك يتناول دراسة اللغة في مستواها الصرفي كمحور لدراستها في بقية المستويات، فهو لا ينفك أن يربط (اللفظ الذي يتناوله) بالشرح من خلال (كتاب المازني) حتى يوضح دلالاته، والقاعدة الصرفية التي يشرحها من خلاله، وكيف تصاغ في التركيب اللفظي، بالضبط النحوي المنتظم في إطار قواعده المعلومة.

وقد تميزت دراسة المستوى الصرفي في كتاب (المنصف) لابن جني بالآتي:

1- التوسع العلمي التخصصي، الذي ينتج عن عالم غزير العلم في اللغة بصورة عامة، وفي الصرف بصورة خاصة.
2- تخصيص الشرح للذين أحكموا أصول الفن، وهم علماء الصرف، إذْ يصعب على المبتدئين استيعابه.(الأفغاني،2014م، 128)
3- تركيزه على إيضاح ما كان مشكلاً في كتاب التصريف، وغامضاً، وبسط فيه القول النافع مع الأمثلة الوافية، ليكون شرحه هو المرجع الوافي في مشاكل الصرف.
4- تمكنه من ربط الصرف بالمباحث اللغوية الأخرى ، مع أن الموضوع الرئيسي للكتاب هو الصرف، واستطاع أن يجعل المستويات اللغوية مترابطة بتناسق وتكامل يجمع بين وظائف اللغة في مستواها الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي بصورة بعيدة عن التكلف بل ظهرت بشكل بنائي منتظم.
5- رتبه وفق ترتيب المازني لكتابه (التصريف) غير أن ابن جني ابتكر العديد من المبادئ المتصلة بعلم الصرف التي يحسم فيها بثقة، كأن يوضح أن من اللغة ما لا يؤخذ إلا بالسماع، وأن هناك فروقاً بين اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق، وأن بعض أهل اللغة لهم تخليط فيما سبيله القياس.(خليفة ،2014،ص129).

6- تميزت طريقته في الشرح بأن يأخذ متن كتاب المازني فقرة فقرة ، فيشرح مسائلها باستفاضة، ويوضح مشكلها، ويمثل لها بلا توقف حتى إذا تيقن أن الشرح بلغ الكفاية، انتقل إلى الفقرة التي تليها وهكذا.

ولتمييز كلامه عن كلام أبي عثمان فإنه يبدأ فيقول في الفقرة التي يشرحها: قال أبو عثمان، فإذا انتهت، يبدأ بالشرح ويقول: قال أبو الفتح...، فيتضح للقارئ كلام الأصل، وكلام الشرح، ويأمن من الخلط بينهما.

7- الميزة البارزة في شرحه هو كثرة الحشد للشواهد التي تؤيد لغة ما من لغات العرب، أو قاعدة صرفية يضيفها إلى قواعد المازني، أو رأياً يأتي به أثناء شرحه، فهو في طابعه العام لا يخضع للتقليد ولا يأنس به، إلا أن يأخذ مما سبقه مفاتيح العلم، وتتنوع هذه الشواهد ما بين آية قرآنية أو نصٍّ نبوي، أو بيت شعر يتلوه آخر، أو مثل عربي قديم له قيمته في الاحتجاج، أو كلام نطقت به العرب، كأن يقول: فتراهم يقولون: كذا وكذا، وهكذا دون كلل أو ملل، مما يجعل من شواهده وأمثلته في ذاتها مادة يستفاد منها في مواضيع بحث مختلفة.

8- كما يتميز شرحه بالعمق والاستغراق لاسيما في بعض القواعد الصرفية التي يتناول فيها بعض الآراء، فتراه يدور فيها بقناعة، ومهارة فائقة، وبترتيب منطقي مليء بالأدلة والإيضاحات المقنعة، فلا يكاد ينفك عن المسألة التي يتحدث عنها حتى يربط بها كل ما يتصل بها مما يعلمه في بابها، فهو يفرغ كل ما لديه حولها حتى وإن حاول الإيجاز، فإنه يعاود الحديث عنها تلقائياً في موضع آخر فيوفيها حقها ومستحقها، لاسيما إذا كان بلغهُ عنها أشياء جديدة، أو اطلع على أمر يتعلق بها.

9- يكثر في شرحه من الأخذ عن لغات العرب، وكأنها الأصل الذي يعتمد عليه، والحجة التي لا يرى أن غيرها أقوى منها، بل إنه يتحرى بدقة في الأخذ عن هذه اللغات، ويترك ما فيه شك أو ريب في ثبوتها، وذلك شأنه في كل كتبه، إلا أنه في الشرح أوضح وأبين، فهو يرى أن القبيلة العربية التي يأخذ عنها اللغة كلما توغلت في البداوة ؛ كانت أقرب إلى الفصاحة، ويؤكد هذا المنهج أو الرأي من المحدثين، الدكتور رمضان عبدالتواب فيقول في بيان طبيعة الأخذ من القبائل العربية مع الاستشهاد بابن جني: "وإننا حين نستعرض كل ذلك، نستطيع أن نرى فيه أساسين أو عاملين، كانا في ذهن أصحاب هذه الروايات:

الأول: كلما قربت القبيلة من بيئة قريش، كانت أقرب إلى الفصاحة وإلى الأخذ بكلامها.

الثاني: على قدر توغل القبيلة في البداوة، تكون فصاحتها.

وعلى هذا الأساس، نجد ابن جني (المتوفى سنة 392هـ) يضع فصلاً في كتابه (الخصائص) بعنوان: باب في ترك الأخذ عن أهل المدر، كما أخذ عن أهل الوبر والمدر والوبر تقابلان: الحضر والبدو، لأن المدر جمع مدرة، وهي: القرية". (عبدالتواب،1999م ،ص105)

10- عند تعرضه لكلام العلماء الأوائل الذين يخالفهم في الرأي حول مسألة معينة فإنه يتناول ذلك بأدب جمّ، بل إنه يحث على لزوم كتبهم ودراسة علومهم، فهو يرفع مكانتهم ويكبر شأنهم، وذلك دليل على سمو خلقه ونبل تعامله، فهو يعرف فضل تقدمهم وجميل إحسانهم، وتلك ميزة العالم الذي ينتفع بعلمه(سعيد الأفغاني،2014،ص130) ويقرّ لكل من تقدمه بفضله، والتجاوز عن الخطأ الذي وقعوا فيه، ويحيل ذلك الخطأ لوجوه متعددة، ويذكر ما أفاده منهم، وما كان لهم من الفضل عليه، في تبليغه ما وصله إليه. وذلك هو شأن العالم الذي يؤثر فيه علمه، ويهذبه استيعابه وفهمه، وتلك منحة من الله يمن بها على من يشاء مع حسن القصد، وإخلاص النية.

ومن خلال ما سبق يتبين مدى دقة وتتابع شرح ابن جني للقراءة، ومدى قوة الاستدلال والاستقصاء لديه ، سواء بذكر القاعدة تلو القاعدة، أم بذكر الشاهد تلو الشاهد، مع التعليل لكل قاعدة يذكرها ، كأن غايته هي الإقناع التام لمن يخاطبه أو يشرح له، وقد اتبع الأسلوب التعليمي والشرح التفصيلي المتوسط الذي ليس فيه استطراد وإسهاب، وليس فيه إيجاز مخلّ.

كما أنه يذكر اللغات التي وردت عن العرب في القراءات التي يشرحها وذلك يشير إلى إحاطته بها، وصحة روايتها ونقلها مما يسهم بقوة في تأكيد القراءة وثبوتها.

الموضوعات الصرفية في كتاب (التصريف الملوكي) لابن جني:

يبدو أن كتاب التصريف الملوكي مختصر لكتاب التصريف السابق الذكر ، كما أشار إلى ذلك بعض علماء اللغة ومنهم الدكتور محمد علي النجار، وقد عرف بالتصريف الملوكي، وقد شرحه ابن يعيش شرحاً وافياً.(النجار، 1995م،ص63)

وموضوعه الرئيسي هو الصرف أو التصريف، وهو كتاب (قليل العبارة) موجز جداً في موضوعه (الصرف) مكثف المعاني، وُضِعَ للمبتدئين في هذا العلم، ومباحثه تدور حول المطالب الآتية:

- معنى التصريف.
- الزيادة في بنية الكلمة.
- حروف الزيادة، ومعانيها ومواضعها وأدلتها.
- الإبدال، الحذف.
- الإعلال، والإدغام الأصغر، والإدغام الأكبر.

ومع إيجازه فإنه يتعرض أحياناً لآراء العلماء في المسألة التي يعرضها، فيلمح إلى موضع الخلاف، ولا يشغل القارئ بها، وكأنه وضع بين يدي قارئ مبتدئ فيوسع عبارته حين يحاول تبسيط الميزان في الصرف وتطبيقه على الكلمات المختلفة، وهو يهتم بالشواهد أيما اهتمام، مع أنه للمبتدئين، ويتبع فيه أسلوب القدامى من علماء العربية، حتى يشعر المتعلم أن العربية تعتمد على شواهدها وأن القواعد هي خادمة لتلك الشواهد، وإنما وضعت –فقط– لإعانة المتعلم حتى يلتحق بأصل العربية بملكته التي تنمو بدراسة الشواهد وتمثلها.

ومن أهم مميزات كتاب ابن جني هذا أن عبارته فيه صافية خالية من كل حشو، على عكس ما يكثر في كتب المتأخرين.(الأفغاني،2014م،ص113)

وبذلك يتضح أن كتاب التصريف الملوكي هو كتاب صرف، الهدف منه هو إيجاز قواعد الصرف وتبسيطها للمبتدئين في تعلم الصرف، وهو كتاب تعليمي، في منهجه، وفي معلوماته، مسبوغ بطريقة أبي الفتح في دقة المعلومة وتدعيمها بالشواهد التي يعتبرها أصل اللغة، التي إذا فقهها المتعلم فإنه ينتمي للغة بالتدرج ويكتسب علومها بالتطبع عليها.

المبحث الثالث

منهجية ابن جني في الدراسة الصرفية وتميزه عن سابقيه

المطلب الأول

منهجية ابن جني في دراسة المستوى الصرفي

أ- منهجيته في دراسة مسائل اللغة:

اتخذ ابن جني في دراسته لعلوم اللغة - بصورة عامة- منهجاً علمياً خاصاً به تميز فيه بطرح المسألة اللغوية أياً كان مستواها (صوتياً أم صرفياً أم نحوياً أم دلالياً) ليفرد لها عنواناً خاصاً بها، ثم يلقي بالقول الذي يراه فيها بصورة مطلقة، ثم يوضح سبب حكمه الذي أطلقه عليها، ليتضح أنه لم يلقِ ذلك الحكم جزافاً، بل جاء عن بينة وتقصٍّ ودراسة وتتبع، ثم يذكر آراء العلماء من أهل اللغة الذين سبقوه في الحديث عن تلك المسألة وينقل من كتبهم وينسب كل رأي إلى صاحبه، ويهتم بسند الرواية التي يوردها عن العلماء قبله للتأكد من صحة ما يروى عنهم، ويعلّق عليها، ويشرح ما أبهم منها ويوضح مقاصد تلك الآراء، فليس مجرد ناقل، بل يناقش تلك الآراء ويرد فيها ما يرد، أو يقبل بعضها ويرد البعض، وينقل منها ما يوافق قواعد اللغة المتفق عليها.(ياقوت ،2000م ص17)

ومن ذلك قوله: "فأما الدليل على أن هذه الألفاظ أسماء، فأشياء وجدت فيها لا توجد إلا في الأسماء، منها التنوين الذي هو علم على التنكير، وهذا لا يوجد إلا في الاسم، نحو قولك: هذا سيبويه، وسيبويهٍ آخر.. وكما قال الخليل في قولهم: لبيك وسعديك، إن معناهما أنه كلما كنت في أمر فدعوتني إليه أجبتك وساعدتك عليه". (ابن جني، 1995م،ج2،ص45).

وهو بذلك يحاول بكل الوسائل الاستدلالية إثبات ما ذهب إليه من رأي، كأنه يتكلم عن منطق يثق فيه بما أورد من رأي، ويحشد له كل ما اطلع عليه من آراء أهل اللغة، ويؤكده بتساؤلاته المنطقية المعتمدة على الاستنباط أو الاستنتاج.

ولعل تلك المنهجية أو الطريقة تنسحب على الدراسات الصرفية لديه، لكنه مع ذلك يجعل لها نكهة خاصة بها، نظراً لطبيعة الصرف القائمة على الحدية، المعتمدة على القواعد المطردة أكثر من اعتمادها على طبيعة اللغة التذوقية.

ب- منهجيته في دراسة المستوى الصرفي:

أشرنا مسبقاً إلى الاهتمام الواسع لابن جني بعلم الصرف، الذي توسع فيه، سواء بإفراده بكتاب مستقل أم بموضوعات متعددة في عدد من كتبه الأخرى، ومن خلال الاستقراء للموضوعات الصرفية التي درسها في كتبه المتنوعة، نلمس أنه اتجه إليها اتجاه الراغب في بحثها، والمستغرق في تفاصيلها،

المجدد في الكثير من قواعد تأصيلها، وحتى لا نبدد الحديث عن تلك المنهجية في دراسة اللغة من الناحية الصرفية لديه، سنجمل معالمها في النقاط الآتية، مكتفين بما أمكن من الاستدلالات والنصوص الواردة في كتبه المتعددة، وذلك كما يأتي:

1- انطلق في دراسته للغة في مستواها الصرفي من منطلق دراسته للغة كبناء متكامل يبدأ بالصوت وأجزاء الصوت، مروراً بالمستوى الصوتي الذي يمزج فيه الدراسة الصوتية، والتركيبة معاً، ويشرح الدلالة في ذات الوقت، ويتضح ذلك من خلال تعريفه للصرف أو التصريف فيقول: "التصريف هو أن تأتي إلى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف، أو تحريف، بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصريف فيها والتصريف لها".(ابن الحاجب ،1975م،ص21).

والواضح أنه في رؤيته للغة في مستواها الصرفي، أنها عبارة عن ألفاظ أصلية الحروف، وما يطرأ على هذه الألفاظ من تغيير فإنه غير أصلي فيها، لكنه لابد منه، لأن طبيعة التوظيف اللغوي للألفاظ تستدعي ذلك التغيير، بهدف استقامة التركيب، من خلال استقامة الدلالة الناتجة عن تلك التحولات الطارئة على تلك الألفاظ الأصلية، التي يتطلبها التركيب اللغوي، أو السياق الدلالي، كما أن ذلك التغيير هو الذي يقصد به التصريف، ويراد به تصريف اللفظ من خلال أصوله الحرفية، إما بزيادة حرف أو أكثر، ليؤدي إلى معنى غير المعنى الأصلي لها أو حتى بتحريك تلك الأصول أو الحروف بغير الحركات الأصلية التي بني بها اللفظ، ليولد معاني جديدة، وهو ما يسميه بالتحريف، وهو غير الزيادة إنما هو عمل في نفس الحروف بتغيير صوتي معين، يؤدي إلى صرفها إلى معانٍ أخرى تقتضيها الحاجة الكلامية في الموقف الكلامي.

فلفظ: (كتب) بأصوله الثلاثة (ك، ت، ب) تكون دلالته الأصلية وفق دلالة الفعل الماضي، ويكون التصريف فيه حسب وضعه في التركيب الكلامي الذي يناسبه، فإذا زيد فيه أوفي وزنه حرف كقولنا (كاتب) فذلك يعني أني أريد القول في مثل: كاتب الدرس محمد، أن المقصود هو التعريف بمن كتب الدرس، وبذلك تكون دلالة التركيب بهذا التصريف تختلف عن استعمال اللفظ الأصلي (كتب) في تركيب آخر كقولنا: كتب الدرس محمد، أو (محمد كتب الدرس) وهكذا نتج عن التصريف بوسيلة الزيادة معاني جديدة ؛ ذلك أن التصريف كما يقول الرضي الاستراباذي: (علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة وإعلال، وإدغام وإمالة) (الأستراباذي،1975م،ج1،ص21).

وأما التحريف فهو التحريك للأصوات الأصلية في اللفظ بما يولّد معاني جديدة، حسب وجودها في التركيب أو في السياق اللغوي، فلفظ (كتب) الدال على الماضي ستكون حركاته هي الفتحة في الحروف الثلاثة، حسب السياق الذي ذكرناه سابقاً، لكن إذا أردنا التعبير عن مجموعة كتب فتقول: هذه كتب مفيدة، مع أننا لم نغير في الحروف الأصلية بزيادة أو إبدال، بل بتحريك

وتسكين الحروف بحركات تناسب سياق الجملة ودلالتها ، وبذلك يتضح لنا كيف ربط ابن جني من خلال رؤيته للصرف أو التصريف بين المستوى الصوتي والمستوى الصرفي من خلال التغيير في حركات الأصوات، وبين المستوى التركيبي الذي يضبط ذلك التغيير في الحركات بأن لا يكون عشوائياً بل يكون منضبطاً بطبيعة التركيب اللفظي للجملة، كما "اعتاد النحويون الربط بين مباحث الصرف ومباحث النحو في كتبهم؛ ذلك لأن بناء الكلمة (فعلاً أو اسماً أو حرفاً) هو الذي يحدد وظيفتها في الجملة، ثم إن الصلة بين علم الأصوات والصرف والنحو تظهر مدى الترابط بين مكونات الكلام".

2- تتضح منهجيته في دراسة الألفاظ دراسة صرفية، أنه يطلق الحكم على اللفظ أو المسألة ويضرب المثل عليها ثم يسرد بعد ذلك الأدلة على صحة ما حكم، ومن ذلك قوله: (هذا موضع كثير الإبهام لأكثر من يسمعه لا حقيقة تحته، وذلك كقولنا: الأصل في قام قوم، وفي باع بيع، وفي طال طول.. فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها - مما يُدَّعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه- قد كان مرة يقال، حتى إنهم يقولون في موضع قام زيد: قوم زيد، وكذلك نوم جعفر، وطول محمد وذلك أنه لم يكن قطّ مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه). (ابن جني،1995م،ج1، ص257)

3- ثم يستمر في الاستقصاء لذات المسألة فيقول: (وإنما معنى قولنا: إنه كان أصله كذا: أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه (على ما ذكرنا) فأما أن يكون استعمل وقتاً من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر) (ابن جني، 1995م ،ج1، ص258)

ويواصل الحديث عن أصلية تلك الألفاظ، وما شابهها، ويسرد اللغات التي نطقت بمثلها أو بما يقاربها، وهكذا حتى نهاية المسألة التي قد يبلغ الحديث فيها باباً كاملاً من أبواب كتابه، سواء في الخصائص أم في غيره.

4- استعمال الجدل والمنطق:

يعتمد ابن جني في دراسته الصرفية على التساؤلات والافتراضات، ويجيب عنها بأدلة منطقية تعتمد على الاستنتاج العقلي المنطقي، وذكر العلل التي يبني عليها إفادته ومن ذلك قوله في إسقاط الدليل: "وذلك كقول أبي عثمان: لا تكون الصفة غير مفيدة، فلذلك قلت: مررت برجل أنعلٍ، فصرف أفعل هذه لما لم تكن الصفة مفيدة، وإسقاط هذا يقال له: قد جاءت الصفة غير مفيدة، وذلك كقولك في جواب من قال: رأيت زيداً؟: آلمني يا فتى. فآلمني صفة، وغير مفيدة".

ثم يتابع الاحتجاج المنطقي فيقول: "كذلك قول هؤلاء: إن كل عائدٍ على اسم عارٍ من العوامل يرفعه يفسده وجود عائد على اسم عار من العوامل، وهو غير رافع له، فهذا طريق هذا".(ابن جني ،1995م،ص199).

5- الجانب التطبيقي:

اتجه ابن جني في دراسته الصرفية إلى الجانب التطبيقي بالإضافة إلى الجانب النظري المتمثل في وضع القواعد والقوانين الصرفية، فلا يضع قاعدة أو يؤكدها أو ينقضها إلا ويأتي بالأمثلة التطبيقية عليها، ليكون بذلك أكثر إقناعاً بما يضع من قوانين صرفية، فلا نكاد نجد مسألة صرفية، سواء في الخصائص أم اللمع أم المحتسب أم غيرها من كتبه، إلا والأمثلة عليها كثيرة ومطردة، ومن ذلك قوله في تطبيقات الاشتقاق الأكبر: (فمن ذلك تقليب (ج ب ر) فهي أين وقعت، للقوة والشدة، منها (جَبْرت) العظم، والفقير. و(الجبر) الملك؛ لقوته وتقويته غيره، ومنها رجل (مجرّب) إذا جرّسته الأمور ونَجَّدته، فقويت منّته، واشتدت شكيمته، ومنه الجراب؛ لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعي، اشتد وقوى، وإذا أغفل وأهمل، تساقط ورذِي) (ابن جني ، 1995م، 135)

6- اتخذ ابن جني في تناوله للمسائل الصرفية طريقة تتسم بالشرح المبسط والممتع على الرغم من استعماله الأسلوب المنطقي الفلسفي، لكنه يتمتع بالتوضيح والشرح المدعوم بالتمثيل والاستقصاء دون ملل حتى وإن كرر أو أعاد. (خليفة، 2016م،ص15)

7- يلحظ من خلال تناوله المسائل الصرفية، غزارة علمه، بدليل أنه أثناء شرحه واستدلاله يذكر آراء من سبقه إلى تناول المسألة التي يشرحها، ثم يضيف إلى ذلك عدداً من الشواهد الشعرية، والأمثال، والأقوال، والقصص أحياناً، بل إنه يستطرد في شرح المسألة الصرفية حتى يمزج شرحه بشيء من اللغة، والنحو، والفلسفة ومنه قوله: (وكذلك ما جاء عنهم من (إنْقَحلٍ) في قول صاحب الكتاب- ينبغي أن تكون الهمزة في أوله للإلحاق.. وأنشد الأصمعي –رحمه الله- : لما رأتني خلفاً إنْقحلا.. وإذ حملته على هذا لحق بباب أوسع من إنقحل، وهو باب قِندَأوٍ، وسندأوٍ، وصنطأوٍ، وكنتأوٍ). (ابن جني، 1995م،ص229)

المطلب الثاني

تميزه عن سابقيه

اهتم عدد من علماء اللغة قبل أبي الفتح عثمان ابن جني بدراسة اللغة في مستواها الصرفي، وكانت لهم عناية واضحة وبارزة به، واعتادوا ربط مباحث الصرف بمباحث النحو، (وحرصوا على أهمية سبق التحليل الصرفي للكلام للتحليل النحوي)(النعيم،2000م،ص41) وممن سبق في الإشارة إلى مباحث الصرف، وبوّب له أبواباً مستقلة؛ سيبويه في (الكتاب) ومن تلك الأبواب ما يأتي:

- باب التثنية والجمع.
- باب التصغير.
- باب المقصور والممدود.
- باب التضعيف.
- باب الإدغام وغيرها من المباحث.(سيبويه،2004م،ص) .

كما أفرد أبو عثمان المازني المتوفى (249) هـ للدراسات الصرفية كتاباً مستقلاً وهو كتاب (التصريف) وهو الكتاب الذي درسه ابن جني على أستاذه أبي علي الفارسي وتضلّع فيه، كما أن عددا من علماء العربية خصوا علم الصرف بالدراسة والتمحيص، والذين عاصروا ابن جني في حياته أو في جزء من حياته، ومنهم أبو البركات بن الأنباري، المتوفى (327) هـ، بالإضافة إلى شيخ ابن جني وهو أبو علي الفارسي، الذي أخذ عنه الكثير من علوم اللغة لاسيما في النحو والصرف.

وغيرهم ممن اهتم بالصرف، ممزوجاً بالنحو والأصوات، والدلالة، غير أن أبا الفتح وإن كان قد تابعهم في الكثير من الآراء في عدد من المسائل الصرفية إلا أنه تميز عنهم بعدد من المميزات نجملها فيما يأتي:

1- ابتعاده عن التكرار لآراء من سبقوه، أو عايشوه، حتى وإن كرر بعض آرائهم، فإنما يريد بذلك دراستها وتمحيصها ومحاكمتها وتقييمها، فلربما يضيف إليها، ولربما يرفض جزءاً منها، وقد يرفضها بالكلية، أو يهذّبها ويحسنها، أو يجد لها وجهاً مقبولاً في اللغة، ويظهر ذلك بوضوح في كتابه المحتسب، والتصريف الملوكي.

2- الابتكار:

لقد تميز ابن جني بجنوحه إلى التجديد والابتكار في دراساته اللغوية بصورة عامة، وفي الدراسات الصرفية بصورة خاصة، فهو أحياناً يأتي بالرأي الذي قد لا يوافقه فيه أحد، وربما هو الوحيد الذي يقول به، ومن ذلك مثلاً ذهابه إلى أن "المعنى العام يتكون من حرفين، والحرف الثالث هو الذي يحدد معنى الكلمة ويميزها عن بقية الكلمات" (سليمان،2010م،ص252) ونجد ذلك في كتابه الخصائص في الجزء الثاني إذ أفرد باباً أسماه بـ: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) الذي أشرنا إليه مسبقاً حيث أوضح أن الكثير

من مفرد الكلم أصلها يرجع فقط إلى حرفين، وأن الحرف الثالث هو الذي يحدد معنى كل كلمة مشتقة من أصل واحد، ومن ذلك (جبن، جبر، جبل) فإن الأصل المشترك بينها يتمثل في الـ (ج، ب) وأن النون، والراء، واللام، هي التي تحدد معنى كل لفظ، وأن هذه الكلمات وإن تمايزت في المعاني، لكنها تجتمع في معنى واحد هو التماسك والالتئام.(ابن جني،1995م،ج2،ص147) ولعل سيبويه أشار إليه إشارة موجزة، وذكر أنه يأتي في القليل من الألفاظ ، (سيبويه، 2004م، ص134) لكن ابن جني جعل ذلك قاعدة مطردة في أكثر الألفاظ.

3- تعدد معارفه:

توسع ابن جني في فروع عديدة من علوم اللغة توسعا عميقاً جعل منه مرجعاً أساسياً فيها، مما ساعده على أن يغذي الدراسة الصرفية بالكثير من معارفه اللغوية الأخرى، فهو يمزج دراسة المستوى الصرفي بالمستوى الصوتي الذي ينبني عليه، ويربط المستوى الصرفي بالمستوى النحوي الذي يعد هو التركيب القواعدي للألفاظ من الأسماء والأفعال والحروف، كما يتوّج ذلك كله بالمستوى الدلالي سواء على مستوى دلالة الألفاظ –التي هي مادة علم الصرف– أم على مستوى دلالة التركيب والسياق، وهذا المزج لم يكن عشوائياً، إنما له مناسبته التي تعود إلى التوضيحات والشروح التي يتحدث فيها بالتفصيل عن القضايا الصرفية، ومن خلاله يتلمس القارئ عدداً من الفوائد اللغوية المتنوعة دون صرف النظر عن الموضوع الأساسي، وهو إيضاح المسائل اللغوية في مستواها الصرفي.

4- تميزت الدراسة الصرفية لديه بالتوسع والبسط في أكثر من كتاب، فإنه وإن أفرد لها كتابه الموسوم بـ (التصريف الملوكي) إلا أنه سنّ قوانين الصرف وقواعده في كتابه الخصائص وأكثر من تطبيقاتها في كتابه (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) عند عرضه لوجوه القراءات المتعددة التي تمثل اللغة العربية في أعلى مستوياتها. (يوسف،2016م،ص6) كما أنه توسع في الموضوعات الصرفية، بقوانينها النظرية وتطبيقاتها اللغوية في شرحه لكتاب (التصريف) لأبي عثمان المازني، في كتابه الموسوم بـ (المنصف) ولم يكتف بذلك في تناول الصرف، بل له موضوعات في الصرف تعرض لها في كتابه (سرّ صناعة الإعراب) وكتابه (اللمع في العربية) وغيرها من الكتب التي ألّفها، وهذا التوسع أوضح من خلاله سعة الدراسة اللغوية في مستواها الصرفي؛ ذلك لأن علم الصرف يعدّ من أهم العلوم اللغوية لما له من علاقة ببناء الكلمة، لكونها الوحدة الأولى والأساسية في بناء الجمل، إذْ يُعرف بالتصريف أصول الكلمات والزوائد الداخلة عليها، كما يعرف بالتصريف الدلالات المتعددة والواسعة للفظ الواحد، إذا استخدمت معه قواعد التصريف من إعلال وإبدال، وزيادة، أو تقليب، وتصغير، ونسب وتوكيد وغيرها، وتلك الخاصية يقرها على نفسه بقوله:

"هذا كتاب أشرح فيه كتاب أبي عثمان بكر بن محمد المازني –رحمه الله- في التصريف، بتمكين أصوله، وتهذيب فصوله، فلا أدع فيه – بحول الله وقوته- غامضاً إلا شرحته، ولا مشكلاً إلا أوضحته، ولا كثيراً من الأشباه والنظائر إلا أوردته، ليكون هذا الكتاب قائماً بنفسه، ومتقدماً في جنسه، فإذا أتيت على آخره، أفردت فيه باباً لتفسير ما فيه من اللغة العربية، فإذا فرغت من ذلك الباب أوردت فصلاً من المسائل المشكلة العويصة التي تسخر الأفكار، وتروض الخواطر). (ابن جني، المنصف، 1954م،ج1 ، ص21)

الخاتمة

النتائج:

بعد رحلة الباحث مع ابن جني في دراسته للمستوى الصرفي في العربية في عدد من كتبه التي كان أبرز موضوعاتها الدرس الصرفي، خلص إلى النتائج الآتية:

1- توسع ابن جني في عدد من الدراسات اللغوية، أهمها اللغة، والنحو والصرف، والدلالة، والقراءات، وكان أكثر اهتمامه منصبا على دراسة اللغة في مستواها الصرفي.

2- تمكن ابن جني من الربط المناسب بين المستويات اللغوية منطلقاً من المستوى الصرفي، الذي يدرس فيه البنية اللغوية في أصلها وبعد الزيادة عليها، وتصريفها، واشتقاقها، وإبدال وإعلال الأصوات المكونة لها، مع ملاحظته للتغير الذي يطرأ على تركيب الجملة من حيث الدلالة والترتيب تبعاً لكل تلك التغيرات التصريفية.

3- درس ابن جني المستوى الصرفي للغة، دراسة مبنية على الفحص لكل لفظ فيه، متبعاً قواعد الدراسة الصرفية التي أخذها عمن سبقه من علماء اللغة لاسيما أبي عثمان المازني، وشيخه أبي علي الفارسي، مضيفاً إلى تلك الأسس والقواعد الكثير مما ابتكره منها مع استدلاله على ما أضاف بشواهد كثيرة، كما أنه صور اللغة في جميع مستوياتها بصورة متداخلة متكاملة يكمل بعضها بعضاً في بناء كلي متصل ومتناسق.

4- بسط ابن جني الحديث عن الصرف وقواعده وتطبيقاته، وتأصيل أصوله وضوابطه من خلال شرحه لكتاب (التصريف) لأبي عثمان المازني في كتابه (المنصف) ولخص تلك القواعد والشروح في كتابه الصرفي الموجز (التصريف الملوكي) ووضع أصول علم الصرف من وجهة نظره بعد الإفادة ممن سبقه من علماء اللغة في كتابه (الخصائص) بأجزائه الثلاثة، وربط النحو بالصرف في كتابه (اللمع في العربية) وطبق قواعده التنظيرية التي في كتبه السابقة بصورة عملية في كتابه (المحتسب) وهو بذلك يشكل الصورة الجامعة للمدرسة الصرفية العربية، تشكيلاً وافياً متكاملاً.

5- تميز ابن جني في دراسته اللغوية الصرفية بالدقة والتتبع والاستقصاء وكثرة الشواهد من القراءات ولغات العرب، وأقوالها شعراً ونثراً، والاستشهاد بأقوال العلماء قبله مما يخدم رأيه في المسألة التي يشرحها، وهو بذلك يذهب مذهب الإقناع للمخاطب عن طريق الاستقصاء الذي لا يترك مجالاً للشك في نظره.

6- نحى ابن جني في دراساته الصرفية منحى تعليمياً يتناسب مع كل المستويات التي تتلقى عنه، وهو بذلك من وجهة نظر علم اللغة الحديث يراعي المخاطب عند صياغة مكونات خطابه أو كلامه العلمي، فيكونه بطريقة تتناسب مع المبتدئ في التعلم، وكذلك مع المتوسع المتضلع في اللغة وعلومها.

7- جعل ابن جني دراسة المستوى الصرفي مقدمة على دراسة المستوى النحوي، لأن أساس البناء اللغوي يقتضي تقدم اللفظ على الجملة وموضوع الدرس الصرفي هو الكلمة، وموضوع الدرس النحوي هو الجملة أو التركيب وذلك يقتضي أن تكون دراسة الكلمة قبل دراسة الجملة، لأن الكلمة تعبر عن ذات اللغة، وأصول بنائها، والجملة تعبر عن الصورة العليا للغة، ودراسة الذات مقدم على دراسة التركيب الأعلى.

8- يفاد أيضاً من دراسة ابن جني للغة في مستواها الصرفي، أن دلالة اللفظ تتغير بتغير التصريف الذي يطرأ عليه مما يولد دلالات لفظية متنوعة، كما أن دلالة الجملة تتغير وتتنوع بتغير وتنوع، التصريفات التي تطرأ على اللفظ، وبذلك يكون المستوى الصرفي يحمل وسائل كثيرة ومتنوعة لتوليد دلالات كثيرة للجملة الواحدة.

9- ترك ابن جني ثروة لغوية كبيرة من خلال دراسته للغة بصورة عامة ومن خلال دراسته الصرفية بصورة خاصة تمثلت في الكتب التي خلفها، والمصطلحات التي أطلقها، والقواعد التي ابتكرها، والآراء التي تفرّد بها، والشواهد التي حشدها في نقاشاته اللغوية المتتابعة، لتكون لمن يأتي بعده مادة وافية ونافعة في مجالات بحث متنوعة.

10- تعدّ أبرز سمة في دراسة ابن جني الصرفية هي البحث عن كنه اللفظ وكنه دلالته ، مما أوصله إلى معرفة ماهية اللغة وأصلها، بل نجدها سمة عامة يتمتع بها، حيث نلحظ في معظم نقاشاته وتعريفاته، محاولة الوصول إلى أصل الشيء أو اللفظ أو المصطلح، الذي يتناوله، مؤكداً محاولاته بدلائل عديدة.

11- تظل الدراسة اللغوية في المستوى الصرفي في العصر الحديث واسعة الأفق، متنوعة الموضوعات، متفرعة بلا حدود، لاسيما مع وجود إمكانات أفضل ومصادر أكثر سعة من ذي قبل، مع الإفادة من الموروث العلمي الكبير والمتراكم عبر الحقب التاريخية السابقة الذي يشكل صورة مرتبة ومتناسقة للتطور اللغوي الصرفي وغير الصرفي، ويسهل عمل بحوث مفيدة وجديدة تنطلق من مادة علمية غنية، كتلك التي خلفها لنا أبو الفتح عثمان بن جني، وغيره ممن سبقه، وممن عاصره، وممن أتى بعده.

12- نستنتج من خلال تتبع الدراسات الصرفية الواسعة والمتنوعة لابن جني، ما بين تأصيل نظري لها وتطبيقي لغوي عليها، وشرح وتلخيص، وتوظيف دلالي ومزج لها مع المستوى الصوتي والنحوي والدلالي، أنه تمتع بصبر وجلد لا يقوى عليه إلا القليل، لاسيما وأن الكثير من علماء اللغة كانوا ينأون بأنفسهم عن الصرف لصعوبته، ودقة قواعده، كما صرح بذلك العديد منهم قديماً وحديثاً، كما أنه يتمتع بهمة عالية في تناول دروسه وتطبيقاته الصعبة حتى في آخر عمره، وخير دليل على ذلك تأليفه كتابه (المحتسب) الذي ألفه في آخر حياته، ليكون خاتمة كتبه التي يحتسبها عند الله- كما أفاد - وذلك يدل على أن الصرف لا يعيش معه بهذه النفسية، مدة طويلة من حياته، حتى يختمها بالبحث فيه إلا صاحب همة عالية، وعقلية متميزة محكمة، وأفق واسع.

13- نستفيد من ابن جني في مخالفته لمن سبقه من علماء اللغة والصرف ، أسلوبه الدال على علو مكانته وسمو أخلاقه، في الحديث عمن سبقه في مسألة صرفية معينة، إذ يثبت لهم فضلهم، ومكانتهم، ويحسن الأدب في عدم متابعتهم مع ما كان ينوء به من ثقل الصرف ومسائله المتداخلة، وهو بذلك يعلمنا أصول الاختلاف في الرأي، وحسن الاعتراف بالفضل، وجميل الخطاب مع أهل العلم ولطف الاعتذار لهم عما ظهر أنهم أخطأوا فيه، وذلك هو ما يليق بطالب العلم وحامله ومعلمه.

التوصيات:

في ضوء ما سبق يوصي الباحث بالتوصيات الآتية:

1- نأمل من الباحثين في الدراسات اللغوية توجيه البحث اللغوي إلى استخراج ما يتوافق مع الرؤى العلمية الحديثة من مآثر علماء اللغة الأوائل، وتيسير وتبسيط ما يمكن تبسيطه من دراساتهم اللغوية المتنوعة لاسيما ما يتعلق منها بالمستوى الصرفي.

2- أن تقوم المراكز البحثية –لاسيما المهتم منها بالدراسات اللغوية- بإبراز العديد من البحوث والكتب التي ألفها أبو الفتح عثمان بن جني، ولا توجد إلا أسماؤها، حيث أثبتت العديد من التراجم له، أنه ألف أكثر من خمسين كتاباً، لكن الموجود منها والمطبوع، يعدّ على الأصابع لما لهذه المآثر من أهمية، سواء في موضوعاتها التي تحدثت عنها، أم في شخص مؤلفها المشهور بدقته وغزارة علمه، ولا شك أن ذلك يتطلب عناءً كبيراً، لكنه يستحق ذلك.

3- نوصي الجهات المعنية بإقرار المناهج الدراسية سواء في مرحلة التعليم ما قبل الجامعي، أم في مرحلة التعليم الجامعي بأن يُدرّس الصرف قبل أن يُدرّس النحو، لأن ذلك هو الترتيب العلمي المنطقي الذي يميز قيمة دراسة اللغة في ضوء المستويات اللغوية.

4- نوصي العاملين في تأليف وتطوير المناهج الدراسية اللغوية إلى أن يتجهوا نحو تبسيط وتيسير دراسة الصرف، وأن يتبعوا منهج التدرج التعليمي الذي اتبعه أبو الفتح عثمان بن جني.

5- نأمل من أقسام اللغة العربية في الجامعات الاهتمام الجاد بإقرار الدروس الصرفية التي يتمكن الطالب من خلالها الربط بين الصرف والصوت، والتركيب، والدلالة بصورة تطبيقية مناسبة ومبسطة تظهر جمال اللغة، وحسن بنائها وترابط مستوياتها.

6- استكمال استخراج الكثير من البحوث اللغوية، سواء في المستوى الصرفي، أم في غيره من المستويات، التي تضمنتها كتب ابن جني، لما فيها من غزارة المادة العلمية المأثورة، والقوانين اللغوية المستنبطة والأدلة والشواهد المتعلقة بكل مسألة يناقشها، إذ ما يزال الكثير منها يشكل مادة خصبة للتنقيب والبحث العلمي.

7- الإفادة من دراسة النظريات اللغوية الحديثة في البحث اللغوي المتصل بالدراسات اللغوية القديمة، بما يحقق استخراج الرؤى الأصلية للغة في جميع مستوياتها، والنظرة اللغوية الحديثة لها أيضاً في جميع مستوياتها.

والله الموفق،،،

المصادر والمراجع:

1- ابن جني أبو الفتح عثمان ، المحتسب في وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الناشر: وزارة الأوقاف والمعارف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ-1999م، تحقيق علي النجدي وآخرون- مقدمة المحققين- ج1.

2- ابن جنى أبو الفتح عثمان ،التصريف الملوكي، تحقيق محمد سعيد مصطفى النعسان، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر 1996م.

3- ابن جني ،أبو الفتح عثمان، المنصف شرح كتاب التصريف، لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث، ط1، 1954م،ج1 .

4- أبو الفتح عثمان بن جني، اللمع في العربية، تحقيق : فائز فارس، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، د. ت. ط.

5- ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، دار النفائس، 1985م.

6- أحمد سليمان ياقوت- دراسات نحوية في الخصائص- دار المعرفة الجامعية- مصر- الإسكندرية- ط1، 2000م.

7- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف ، تحقيق عرفات مطر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت –لبنان- 1429هـ- 2008م

8- ابن الحاجب ، الشافية في علم التصريف، تحقيق حسن أحمد العثمان، المكتبة الملكية- السعودية – ط1- 1984م.

9- أسماء عبد الكريم خليفة عبد القادر ،الدرس الصرفي عند ابن جني من خلال كتابه اللمع في العربية ، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا ،2014م ط10.

10- خالد محمد عيال سلمان، أثر المحتسب في الدراسات الصرفية- دار الحامد للنشر والتوزيع- عمّان- الأردن- ط1- 2011م.

11- عبدالله البريدي- اللغة هوية ناطقة- إصدارات المجلة العربية- الرياض- المملكة العربية السعودية –جمادي الأولى 1434هـ - 2013م.

12- محمد علي النجار- مقدمة تحقيق كتاب الخصائص، دار النفائس، 1985م.

13- سابع محمد يوسف- المسائل الصرفية في الجزء الثالث من الخصائص لابن جني- رسالة ماجستير- جامعة المدينة العالمية- 1437هـ- 2016م.

14- عبده الراجحي، وعلي إبراهيم- فقه اللغة في الكتب العربية- دار المعرفة الجامعية- مصر- الإسكندرية،ط1- 1994م .

15- ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة الملكية، السعودية، ط1، 1995م.

16- أسماء عبدالكريم خلفية عبدالقادر، الدرس الصرفي عند ابن جني، مجلة كلية العلوم والدراسات الإنسانية، المرجع- ليبيا، 2014م.

17- عبدالكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009م،ط1.

18- الأفغاني سعيد ، تاريخ النحو، دار الفكر ،2014م .

19- رمضان عبدالتواب، فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1994م.

20- الرضي الاستراباذي- شرح شافية ابن الحاجب- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- ط1- 1975م.

21- علي عبدالله النعيم، اللسانيات وفقه اللغة، إصدار جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 1430هـ، 2009م، ط1.

22- أسماء عبدالكريم خليفة عبدالقادر، الدرس الصرفي عند ابن جني، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، ليبيا، العدد العاشر، فبراير، 2016م.

23- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- 2004م- ط4.